477

HARLEQUIN®

روايات أحلام

قصر من سراب

ماريون لينوكس

www.elromancia.com
مرمورية

قصر من سراب

في مكان بعيد قاحل ، ومع رجل بالغ الوسامة ، وجدت جينا نفسها مهجورة وسط صحراء قاحلة . لا تليفون ولا ماء ... وحيدة إلا من أختها الطفلة ..

رايلي جاكسون الذي أنقذهما ، كان شخصاً علمته الحياة درساً قاسياً هو أن الحب لا يدوم ، ولهذا لم يعد يريد الالتزام أو الصحبة . لكن عندما ساعد هذه المرأة الشجاعة ، أدركت جينا أن عليها بذل جهدها كي تخلصه من عقدته .

استطاعت جينا أن تسقط الحواجز التى وضعها حول قلبه ، ولكن بقي هناك حاجز منيع لم تستطع تجاوزه...

ماريون لينوكس

ولدت في إحدى المزارع في أوستراليا، وغادرتها فيما بعد... كتبت ماريون عدة روايات لسلسلتي «الروايات الطبية» و «الروايات العاطفية». استخدمت في بداياتها اسماً مختلفاً لكل نوع من الروايات. فإذا كنتم تملكون روايات قديمة سوف تجدون رواياتها موقعة باسم تريشا دايفيد.

بالإضافة إلى الكتابة والاهتمام بزوجها، تولي ماريون اهتمامها إلى أولادها، الكلاب، القطط، الدجاج وإلى الضيوف الذين تستقبلهم إلى مائدة العشاء. كما تعتني بالحديقة وبتنظيف المنزل، لكن هذان الاهتمامان يضيعان وقتها. أما السفر فقد وجدت فيه ماريون متعة لا تنتهي.

عندما كانت في سن المراهقة قيل لها إن لا فائدة ترجى من قراءة الروايات. والآن، أصبحت الروايات محوراً أساسياً في حياتها؛ فكتابة الروايات سمحت لها بالتنقل والسفر بصورة دائمة. وإذا كان هناك من نموذج للأشخاص الذين ينجحون في تحقيق أحلامهم فهو: ماريون لينوكس!

المقدمة

كان شعوره الأبرز هو الارتياح.

أليس من المفروض أن تثور ثائرته؟ أن يشعر بالمرارة؟ بالهجران؟ والوحشة؟ هذا ما شعر به في الماضي عندما هجره أحبابه. وعندما شحن آخر أمتعة زوجته الجميلة في طائرة أعز أصدقائه، توقع أن يسمع ولو صدى لألمه على الأقل.

لكن هذا لم يحدث. لقد أصبحت الطائرة الآن نقطة في الأفق، لكنه لم يشعر بأيّ وحشة على الإطلاق!

لعله شفي من ذلك الحب. كان واضحاً أنه لا يملك المقوّمات اللازمة لإقامة علاقة، لكن هذا لم يعد مهماً.

- ما رأيك يا فتى؟

طرح هذا السؤال على كلبه «باستل» الذي أخذ يشم يده. باستل لن يفتقد ليزا هو أيضاً لأن ليزا لم يكن لديها وقت للكلاب. وعاد يخاطب كلبه: «أصبحنا بمفردنا الآن، يا رفيقي».

كان الكلب يعرج بجانبه. سيبقى باستل وفياً إلى النهاية بعكس زوجته، وخسارته لباستل ستسبب له ألماً حقيقياً، وهذا هو الألم عند نهاية الحب.

عاد باستل يتشمم أصابعه، فتوقف رايلي ليمنحه عناقاً رقيقاً: «أنا أعرف أنك لن تبقى معي وقتاً طويلاً وسأفتقدك بشكل جنوني، لكنني لن أفتقد أي شخص آخر، لن أعاشر امرأة أخرى بعد الآن على الإطلاق».

www.liromancia.com

١ - قرار متهور

إنها غلطة، غلطة فظيعة، فجلّ ما رأته جينا من حولها هو غبار أحمر وخط سكة حديد.

رأت أشجاراً قصيرة تنمو على طول الخط، وفي البعيد، تحوّل القطار إلى ضوء وامض خفيف.

لم ترَ شيئاً آخر.

وقفت جينا من دون حراك، محاولة أن تستوعب فداحة ما اقترفته. عندما أعلن المذياع أن القطار سيتوقف في «مرتفعات بارينيا»، افترضت جينا أنها مدينة ما. وكانت قد نظرت من النافذة فرأت العديد من الشاحنات التي وقفت إلى جانب الرصيف فيما أخذ العمّال ينزلون أحمالاً من البضاعة، وراح رجال يعتمرون قبعات عريضة ونساء، يحمّلون البضاعة في الشاحنات.

قررت أن الرحلة انتهت هنا . .

وهذا أفضل بكثير من قضاء يومين آخرين في القطار، تنظر إلى برايان وهو يذلّ ابنته الصغيرة.

كانت من الغضب بحيث استعجلت في إلقاء الحقائب من القطار وهي تعلم كارلي أنهما سترجلان من هنا في اللحظة التي ابتدأ القطار يتحرك فيها.

إذن، اين هما الآن؟

في «مرتفعات بارينيا»! وهو اسم لا يعني شيئاً. والأسوأ من ذلك أن

الشاحنات التي رأتها منذ دقائق غابت عن النظر الآن في سحابة من الغبار الأحمر.

لم يكن هناك شيء على الإطلاق.

أخذت تنظر من حولها بفزع، غير مصدقة. ما الذي فعلته؟ أين تراهما نزلتا؟ لقد استغرقت رحلتهما من سيدني يوماً ونصف ويومين من «بيرت». وهما لا تدريان أين هما الآن.

- أين نحن الآن؟

طرحت عليها كارلي هذا السؤال بذلك الصوت الضعيف الخائف الذي تستعمله مع برايان وهذه هي النبرة الوحيدة التي سمعتها جينا طوال اليومين الماضيين.

أجابتها جينا بصوت مرتفع وكأن التفوّه باسم هذا المكان يمنحه معنى خاصاً: «نحن في مرتفعات بارينيا».

لكن هذا لم يطمئن «فمرتفعات بارينيا» هي عبارة عن رصيف من الإسفلت وسقف من الصفيح. ما من شجرة أو هاتف.

وكانت كارلي تقف بجانبها، تنتظر منها أن تخبرها بما عليها أن تقوم به.

يا إلهي. . ماذا تراني فعلت؟ عادت جينا تخاطب نفسها وهي تتذكر كيف كان أبوها يقول دوماً إنها حمقاء. . وهو على صواب.

لكن رأي أبيها لم يعد يهمها، فتشارلي سفينسن في أميركا. ولعل والدها متواطئ سراً مع برايان.

كان هذا التفكير غير معقول، لكنه ليس مستحيلاً، فهي وكيرلي من أم واحدة لكن من أبوين مختلفين، برايان وتشارلي، وهما أكثر من عرفت من الرجال بُعداً عن المبادىء الخلقية.

أغمضت جينا عينيها وهي تتذكر وجه برايان بينما كانت تستعد للنزول ثم قوله بخشونة: «انزلي إذن، فهذا لا يهمني. إنني الفائز».

وكان النصر يرتسم على ملامحه وهو يراها تنزل من القطار مع

أختها الصغيرة.

أتراه أدرك نوع هذا المكان؟ وانحبست أنفاسها. أترى برايان أدرك ما تفعل؟ هل كان يعلم أن «مرتفعات بارينيا» ليست شيئاً يذكر؟

من المؤكد أنه لا يريد أن يرى ابنته معزولة في مكان غريب موحش.

جلست على حقيبتها وحاولت أن تكبح ذعرها. إنها حمقاء للغاية. كانت كارلي ابنة الأعوام الخمسة تنظر إليها بقلق، فأخذتها ووضعتها على ركبتيها واحتضنتها بشدة وهي تفكر في أن عليها أن تهدأ وتحاول أن تفكر. وسألتها كارلي بثقة تامة: «هل سيأتي أحد ليأخذنا؟».

فحاولت جينا أن تجد جواباً لهذا السؤال. وأخيراً، أجابت: «ربما. عليّ أن أفكر في الأمر».

أطاعتها كارلي والتزمت الصمت. وهو ما أمضت سنوات عمرها الخمس تفعله فكان الآخرون يرونها ولا يسمعونها. وقد صممت جينا على أن هذا الصمت يجب أن ينتهي. لكنها شعرت حالياً بالشكر لصمت أختها هذا، فهي بحاجة لأن تفكر في ما عليها أن تعمله. وكان هذا صعباً.

كان الذعر يتملك جينا، كما كانت تشعر بحرارة الجوّ الخانقة بعد خروجها من القطار المكيّف.

إنه منتصف النهار في براري أستراليا.

لكنها مالبثت أن حدثت نفسها بأن تنسى حرارة الجوّ وتنتبه لوضعها الحالي.

متى يأتي القطار التالي؟وحاولت أن تتذكر جدول المواعيد الذي اطلعت عليه في انكلترا. أدهشها، حينذاك، اقتراح برايان بأن يستقلوا القطار الذي يقوم برحلة طويلة عبر وسط أستراليا، وتفحصت طريق القطار وجدول الرحلات عبر الإنترنت.

وأخذت تحدث نفسها مرة أخرى بمرارة بأنها مخطئة من دون شك.

لكنها لم تكن كذلك، فهي واثقة من أنّ هذا القطار يعبر القارة

مرتين فقط في الأسبوع، وهو يتوقف في «مرتفعات بارينيا» لينزل حمولته وليسمح للقطار القادم من الجهة المقابلة بالمرور. وقد حدث هذا منذ عشر دقائق ما يعني أن ما من قطارات قبل ثلاثة أيام، واليوم هو الخميس، وبالتالي لن يمر القطار التالي قبل يوم الاثنين.

ازداد شعورها بالغثيان، فأخرجت هاتفها الخلوي وأخذت تنظر إلى شاشته. لم تجد أي اتصال. لكنها طبعاً خارج نطاق الخدمة. ما الذي كانت تتوقعه؟؟

لكنها رأت أولئك الفتية في الشاحنات فلا بد أنهم يعيشون في مكان ما. أنزلت أختها من حضنها برقة ثم سارت إلى حافة الرصيف، وهذه غلطة أخرى فقد ضربتها شمس الظهيرة.

عادت إلى الظل، وعادت كارلي تندس في أحضانها باحثة عن الأمن والاستقرار.

ويالله من استقرار معها!

همست وهي تنظر من حولها مستطلعة بعينين ضيقتين: «سنكون بأحسن حال، يا كارلي».

رأت طرقاً وعرة تقود إلى اتجاهات مختلفة، وما من شيء آخر.

لا بدّ من وجود حياة هنا. فكرت في ذلك وهي تصل إلى آخر الطريق. هل تلك بيوت؟ إنها غير واثقة، فهي أبعد من أن تميزها.

حدقت في أختها بحيرة، ماذا عليها أن تفعل؟

كانت خياراتها محدودة، فإما أن تمكثا على هذا الرصيف من دون طعام ومن دون شراب وتنتظرا قدوم القطار التالي. وإما أن تسيرا إلى ما لاح لها عند الأفق. وعادت بذهنها إلى التعليمات التي قرأتها اثناء استعدادهما لهذه الرحلة. في حالة تعطل السيارة في البراري، ابق بجانب سيارتك، أخبر الناس بوجهتك، ليرسل أصدقاؤك فرقة للبحث عنك، فالرجل التائه في البراري على قدميه، قد لا يعثرون عليه؟

وخطر لها بمرارة أن هذه النصيحة ممتازة، لكن الشخص الوحيد الذي يعرف مكانهما هو برايان.

وتراءى لها وجه برايان. لم تر في حياتها قط حقداً كالذي ارتسم عليه.

لقد سارت أمامه باعتداد وهي تعلم أنه لن يفعل شيئاً لإنقاذهما.

وهذه الفكرة جعلتها تشعر بالغثيان.

كيف أمكنها أن تثق به قط؟

عليها أن تنسى هذا كله . . ألّا تفكر في الأمر على الإطلاق. سيكون عليهما أن ترعيا نفسيهما بنفسيهما.

وهل ثمة جديد في ذلك؟ وحدثت نفسها بأن عليهما أن تنتظرا، ونظرت إلى ساعتها. إنها الواحدة بعد الظهر، والحرارة في ذروتها. قالت تحدث كارلي: «سنبدّل ملابسنا بأخرى مناسبة ثم نسير لنرى إن كان ما نراه منزلاً. إذا لم يكن كذلك فيمكننا أن نعود. يمكننا دوماً أن . .».

يمكنها ماذا؟ ياله من سؤال جدي! وسألتها كارلي: «ماذا سنفعل أثناء انتظارنا؟».

هذا سؤال جدي آخر! عليهما أن تقوما بعمل ما وإلا سيكون عليهما أن تفكرا. ومن يريد أن يفكر؟

اقترحت جينا:

- يمكننا أن نبني قلاعاً من التراب.

بدا الشك على ملامح الطفلة. وقالت: «لا يمكن بناء قلعة من التراب بل من الرمال».

قالت جينا وقد استطاعت أخيراً أن تبتسم: «نحن في منطقة غير مرسومة على الخارطة يا حبيبتي، وعلى القواعد أن تنقلب رأساً على عقب مثل بناء قلعة من التراب».

* * *

دخل رايلي من الباب الخلفي، وألقى ببقية المؤن على أرض المطبخ، ثم وقف يحدق في الأرض باشمئزاز. ودّ لو يكون الآن بعيداً عن هذا المكان. ورغم أن المؤن التي أرسلتها ماغي ضرورية إلا أنه ليس مضطراً لأن يرغب فيها.

بازيلا مشوية، دوماً وأبداً . . . ومياه غازية.

وحدّث نفسه بأنه سيمضي هنا أسبوعاً آخر، قبل أن يعود إلى العالم المتحضر. يعود إلى «ماينيرينغ» حيث بيته الجميل وطعام ماغي الرائع وبحيرة السباحة، وكافة التفاصيل التي تجعل الحياة في هذه الحرارة القاسية، محتملة.

لِمَ لم يرسل أحداً من رجاله للقيام بهذه المهمة؟

لأنهم لن يقبلوا بالمجيء، كما أجاب نفسه بابتسامة جافة.

لكنه يضيّع وقته بين نفايات المطبخ هذه بينما ليس لديه وقت يضيّعه. فثمة أولويات.

أعاد زجاجة المياه الغازية وهو يحدث نفسه بابتسامة آسفة مرة أخرى بأن هذه هي مؤونته. تباً لذلك!

أليس الحديث إلى الذات أولى علامات الجنون؟ ربما كان عليه أن يحضر كلباً آخر.

كانت الساعة الواحدة بالضبط. مازال أمامه سبع ساعات من النهار. العمل تحت شمس الظهيرة يؤدي إلى الجنون، لكن الضجر يزول، وانتعاش قطيعه يعتمد على إطلاقه له. إذا ما ارتاح، فقد يموت قطيع آخر من ثلاثين رأس ماشية قبل حلول الليل. وحدث نفسه وهو ينظر إلى المياه الغازية بشوق: «لا بأس، تلك ستنتظر أما أنا فسأعود إلى العمل».

* * *

عندما حل المغيب، بدا الحال محيّراً إذ أصبحت الشمس كرة من نار عند الأفق. وكان وهج النور عبر الصحراء سيحبس أنفاس جينا في

www.elromancia.com

الأحوال العادية.

لكن ليس الآن إذ ابتدأت كارلي تتعثر في سيرها. وبدت المباني بعيدة جداً. كانتا قد تركتا أمتعتهما خلفهما وارتدتا سروالين خفيفين وقميصين وحذائين عاديين، لكن، رغم ذلك، بدت المسيرة طويلة حارة، سيّما وأنّ الرمال حارقة وحذائيهما رقيقان للغاية.

والآن.. كلما ازداد اقترابهما من المبنى، ازداد هبوط قلب جينا.

بدا المنزل مهجوراً، فهو يتألف من واجهات قديمة غير مطلية، وسقف حديدي صدىء. ولم ترَ أثراً لمراوح أو حديقة بل مزيداً من التراب الأحمر. أحاطت بالبيت حظائر متداعية، فيما بدا المنزل نفسه سليماً، لكن النوافذ المحطمة جعلت جينا تدرك أن المنزل هذا لم يسكنه أحد منذ وقت طويل. لكن هذا البيت يمكن أن يكون ملجأ لهما حتى وصول القطار التالي. وركّزت على خزان الماء خلف المنزل الذي بدا وكأنه سيقع في أي لحظة. لكنه يبدو صالحاً للخدمة.

أخذت تهمس وهي تتقدم بكارلي نحو الكوخ: :«أرجوك، أرجوك يا الله».

وفجأة، جمدت مكانها.

فخلف الكوخ، وقفت طائرة صغيرة الحجم، جديدة، غالية الثمن. لم تكن من نوع الطائرات التي يتركها شخص في كامل قواه العقلية.

قالت جينا تخاطب كارلي: «لا بد أن شخصاً ما هنا».

قالت كارلي بحذر: «أريد أن أشرب».

فتمالكت جينا نفسها والتفتت تحدق في الكوخ راجية أن يخرج أحد منه لكن هذا لم يحصل. وقالت للصغيرة: «فلنقرع البابْ».

من هو الذي يسكن في مكان قذر كهذا؟ وقادت أختها إلى الكوخ ثم شعرت وكأنها في مثل سن كارلي تقريباً.. وربما أكثر خوفاً.

وطرقت الباب.

لا جواب. وانتظرتا. وقفت كارلي بثقة بجانب اختها، فتصاعد

شعور هذه بالمسؤولية.

هيا، أما من جواب؟

لم تسمعا سوى صوت الرياح وهي تعصف حول المنزل. وهمست كارلي تطلب منها أن تطرق الباب مرة أخرى، فحاولت جينا مرة أخرى بقوة أكبر.

لا جواب.

قالت كارلي شاكية: «أنا عطشانة جداً».

اشتدت قبضة جينا على يدها. هنا ليس لندن، ومن المؤكد أن أي شخص يعيش هنا، سيتفهم حاجتهما إلى دخول البيت.

همست جينا: «دعينا ندخل».

فسألتها كارلي: «لِمَ نهمس؟».

- لست أدري. أمسكي يدي بشدة.

- أتظنين أن ثمة أشباح هنا؟

- أرجو أن تكون قادرة على قيادة الطائرات.

أخذت كارلي تضحك وبدا هذا رائعاً لجينا فكارلي لا تضحك كثيراً. وفي القطار مع أبيها لم تضحك أبداً. ورأت جينا ولأول مرة أن مغادرتهما القطار لم تكن كارثة، إذا وجدتا بعض الماء، واذا لم يكن قائد الطائرة قاتلاً. لا شك أنها ستصاب بالخبل هنا.

لم يفتح أحد الباب. وعادت تشدّ على يد كارلي، محدثة نفسها بأنها تريد بذلك أن تطمئن كارلي وليس أن تطمئن نفسها.

ودخلتا على أطراف أصابعهما.

بدا المكان مهجورًا منذ سنوات فالغبار السميك يغطي كل شيء. لكن.. ثمة أثار أقدام على الغبار. إنها آثار قدمي رجل حديثة نسبياً.

اشتد ضغطها على يد كارلي وهي تقودها على الأرض الخشبية العارية عند المدخل وبدت أقدامهما أصغر بكثير بجانب تلك الآثار.

أفضى الباب التالي إلى المطبخ، حيث لاحظتا وجود آثار للحياة

على شكل صناديق مأكولات معلبة وثلاجة فضلاً عن كومة من الصحف على طاولة خشبية واسعة.

وبينما أخذت كارلي تنظر من حولها باهتمام، تناولت جينا الصحيفة التي يعود تاريخها إلى يومين.

شخص ما يستعمل هذا المنزل بكل تأكيد.

ولحسن الحظ كان هناك حوض يعلوه صنبور. تركت جينا يد كارلي وفتحته وهي تحبس أنفاسها، وإذا بمياه صافية تتدفق منه. أحنت رأسها وأخذت تشرب من ماء لم تذق قط أعذب منه.

قالت وهي ترتجف قليلاً: «نحن بأحسن حال، يا كارلي».

بعدئذ، رفعت الطفلة بين يديها لكي تشرب هي أيضاً، وهي تتابع: «نحن آمنتان، فثمة طعام وماء هنا. يمكننا البقاء هنا طالما نحن بحاجة إلى ذلك».

- إلى جهنم بحاجتك إلى ذلك.

استدارت وهي لا تزال تحمل الطفلة فرأت رجلاً عند الباب. ساد الصمت لحظة فيما بقيت كارلي تشرب بلهفة ومنعت الصدمة جينا من الكلام.

كان الرجل طويل القامة، كما سدّ الباب بكتفيه العريضتين وجسمه المفتول العضلات. كانت بنيته توحي بأنه أمضى حياته في العمل الشاق.

كانت الشمس قد حولّت شعره من كستنائي قاتم عند جذوره، إلى ذهبي تقريباً عند أطرافه، كما بدا لون بشرته برونزياً.

كانت ملابس هذا الرجل مغطاة بالغبار.

لا بد أنه مزارع. كان يرتدي سروالاً من الجلد وقميصاً ذا لون كاكي، ويحمل في يده قبعة عريضة.

أتراه مزارع؟ هذا غير معقول.

كان عليها أن تتكلم.. أن تقول شيئاً: «مر.. مرحـ..».

لم تستطع أن تتكلم بوضوح، وبدا صوتها قصيراً حاداً أشبه بالصرير. فاتسعت عينا الرجل: «مرحباً بك أنت».

كان صوته عميقاً بعكس صوتها، ورناناً مليئاً بالثقة بالنفس، وذا لكنة أسترالية واضحة. وراحت عيناه تتأملانها بهدوء، وكأنه يتوقع من هذا الشبح في مطبخه أن يختفي في أي لحظة.

كانت جينا لا تزال تمسك بكارلي التي انتهت من الشرب فأبعدت فمها عن الصنبور. أنزلتها جينا إلى الأرض فأخذت تحدق في هذا الغريب بتشكك ثم استندت إلى ساقي جينا.

وأخيراً استطاعت جينا أن تقول وهي تتمسك بكارلي: «هل.. هل هذا بيتك؟».

قال وهو يحدّق في كارلي: «إنه بيتي، نعم».

لم تنظر إليه كارلي بل اختبأت خلف ساقي جينا وبقيت هناك.

ساد صمت طويل، لم تستطع جينا أن تفكر في شيء تقوله.

وأخيراً، بدا وكأنه تمالك نفسه من صدمة عثوره على غريبتين في مطبخه، فألقى بقبعته على المائدة ثم توجه إلى الثلاجة وأخرج منها المياه الغازية ثم رفع حاجبيه ساخراً. التفت الى جينا وهو يقول: «لا أدري من أنتما وكيف وصلتما إلى هنا، ولكن هل بإمكاني أن أقدم لك هذه المياه الغازية؟».

- لا.. لا، شكراً.

غامرت كارلي بإلقاء نظرة عليه من خلف ساقي جينا، وإذا به يغمزها ما جعلها تعود إلى الاختباء خلف أختها. وتنفست جينا بعمق ثم قالت وهي تتمالك نفسها: «لقد وجدنا الماء عندك... آسفة، نحن نعاني من بعض المشاكل».

- لقد تكهنت بذلك فعلاً. إما هذا وإما أنكما بائعتا موسوعات متحمستان للغاية.

ابتسم الرجل لها وجلّ ما استطاعت جينا أن تفعله هو ألّا تشهق إذ

أنارت هذه الابتسامة وجهه فبدا معها أصغر مما يبدو عليه بسنوات. في البداية، ظنت أنه في الأربعين من عمره، ولكنه حين ابتسم بدا في الثلاثين.. بدا شيئاً لا يصدّق.

كان رائعاً، مثيراً، يتفجر رجولة. وازدحمت هذه الصفات فجأة في رأسها، فامتدت يداها غريزياً إلى كارلي تشدّها إليها.

يا لسخافتها! ليس من عادتها أن تتجاوب مع الرجال بهذا الشكل. فلِمَ تشعر أمام هذا الرجل وكأنه نوّمها... مغناطيسياً؟. وأخيراً، استطاعت أن تقول: «نحن لسنا بائعتين. إن البيوت متفرقة للغاية هنا وهي لا تصلح للبيع من باب إلى باب».

قال والابتسامة لا تفارق شفتيه: «هذا مؤسف».

ثم أشار إلى كومة الصحف مضيفاً: «هذا كل ما لديّ تقريباً للقراءة. أما الموسوعات فلها استعمالها الخاص».

وتلاشت ابتسامته وهو يتفحص عينيها ثم رقّت ملامحه وكأنه شعر بخوفها. وتحولت نظراته مرة أخرى إلى كارلي، محاولاً اختلاس النظر إليها حيث هي خلف ساقي جينا، وقد ازدادت ملامحه رقة ولياناً.

- إذا لم تكوني بائعة، فربما بإمكانك أن تخبريني من تكونين.

- لا أظن..

وسكتت جينا. صعوبة شرح وضعهما لهذا الرجل كادت تسحقها. وقالت: «لن تصدقني».

- جربيني.

انفجرت تقول: «لكنني لا أعرفك».

فعادت ابتسامته الرائعة وهو يقول موافقاً: «هذا صحيح. أنت لا تعرفينني. لكن بما أنك في مطبخي وقد دخلت من دون دعوة، فربما عليك أن تعرّفي عن نفسك أولاً. لكن لعلي واهم».

وتناول قبعته عن المائدة ثم عاد فوضعها على رأسه ليرفعها مجدداً بشكل تحية وهو يقول: «اسمي رايلي جاكسون».

وغمز بعينه إلى أسفل حيث وقفت كارلي متشبثة بساقي أختها وأردف: «اجلسا وارتاحا. اعتبرا نفسيكما في بيتكما».

نظرت إليه جينا مضطربة. ولولا وجود كارلي معها لخرجت من هذا البيت لتعود إلى رصيف محطة القطار.

من تراها تخدع؟ ما كانت لتفعل هذا. وليس لديها خيار سوى الاستمرار في الحديث. وقالت: «أنا جينا سفنسن. وهذه كارلي».

- يسرّني التعرف إليكما يا جينا ويا كارلي. مرحباً بكما في مزرعتي.

مزرعته؟ ونظرت من حولها إلى الغبار المتراكم ثم أخذت تحدق من زجاج النافذة القذر في المرعى المغطى بالعشب في الخارج، وقالت: «هذه ليست مزرعة فعلياً.. أعني، أنت لا تعيش هنا».

سألها وكأن قولها جرحه: «ألا يعجبك «ديكور» بيتي؟ ما العيب فيه؟»

أخذت ترمش فتطوعت كارلي لتجيب: «إنه قذر جداً».

صدمت جينا لقولها هذا، إذ حيّرها أن تتكلم كارلي في حضور رجل غريب. وعادت الطفلة تتابع حديثها: «وأنت لا تنظف مائدتك».

كان في لهجة الطفلة نوع من التوبيخ فقال وهو يبتسم لها: «لو كنت أعلم بقدومكما لنظفت البيت وأخرجت صحوناً من الخزف الثمين وحضرت لكما حلوى أو وضعت في الثلاجة مزيداً من المياه الغازية والعصائر».

وصمت لحظة ثم أضاف: «والآن، أظن أن الدور دورك الآن. لعلي فضولي لكنني أريد أن أعلم أي جهنم..».

وتحوّلت عيناه إلى كارلي، ثم حاول أن يهذب ألفاظه، فتابع يقول: «ما الذي جعلكما تدخلان مطبخي وتنتقدان ربة منزلي؟ وهذا لا يعني أنني غير راضٍ فقدوم الضيوف يرضيني دوماً. لكنني لست واثقاً من مكان قدومكما».

ابتلعت ريقها فهو محق. وأومأت ثم قالت: «جئت من القطار».

- هذا منطقي. لكنني كنت هناك أحضر مؤني، فلم أركما.

- نزلنا من القطار حالما ابتدأ بالسير.

- لم تكونا تتوقعان أن يستقبلكما أحد إذن؟

- لا.

أخذ يفكر في كلامها وعيناه لا تبارحان عينيها: «وهكذا ظننت أن بإمكانك أن تتفرجي على بعض المناظر».

فقالت بحدة: «لا حاجة للسخرية. لم نغادر القطار بإرادتنا».

فابتسم ابتسامته الساحرة تلك وسأل: «أتعنين أن ثمة من طردكما من القطار؟ هل أخللت بالنظام؟».

وعندما لم تجب، جلس على كرسي كرجل يستعد لقراءة كتاب جيد: «حسناً، يا جينا سفنسن ويا كارلي. اجلسا وحدثاني بكل شيء، رجاءً».

رأت أنها تدين له بذلك، فهي بحاجة إليه، وبالتالي عليها أن تخبره.

جلست وأجلست كارلي على كرسي بجانبها.

كان الكرسيان متلامسين ما يبقي كارلي على اتصال بها، لكن الغريب أن الصغيرة بدت مرتاحة.

ما الذي يهدف هذا الرجل إليه؟

جلست جينا بحذر على حافة الكرسي، ما جعله يتمايل بشكل واضح فزاد هذا في توترها. شعرت وكأن عالمها يدور من حولها ولم تعد واثقة من أنها لن تنزلق عن الكرسي.

- لقد حدث اختلاف في الرأي بيننا وبين شخص في القطار وغضبنا.. فتركنا القطار.

- حدث اختلاف بينكم؟

عادت عيناه المفكرتان تلتمعان مرة أخرى، وبدت السخرية في

أعماقهما. أخذ يتفحص وجهها ثم كيانها كله.. نظر إلى سروالها المغبر وبلوزتها وإلى شعرها المشعث حيث انسجم الغبار الأحمر مع لون شعرها الأحمر القاتم، ثم انحدرت نظراته إلى ذراعيها النحيفتين المتكئتين على الطاولة أمامها.

عادت نظراته إلى كارلي، متأملاً شعرها الأحمر المغطى بالغبار وعينيها الخضراوين الواسعتين ما جعلها نسخة ثانية عن جينا: «من الذي اختلفتما معه؟».

- مع برايان، والد كارلي.

نظر مرة أخرى إلى أصابعها لكنه لم ير أيّ أثر لخاتم فيها. وكان هذا ما يبحث عنه وهي تعلم ذلك فتملكها الغضب. تباً له! إنها تعرف بالضبط ما يفكر فيه.

قال: «هل تركت ثلث أسرتك السعيدة في القطار؟».

فقالت بحدة: «ما من ثلث أسرة. وصدقني أنها ليست أسرة سعيدة».

- هذا واضح.

احمر وجهها، وفتحت فمها لتتكلم، لكن لم يخرج من فمها أيّ كلمة. كيف يمكنها أن تشرح ما حصل أمام كارلي؟

وكيف تبرر حماقتها؟

قال برقة بالغة بينما عيناه مستقرتان على وجهها المتوهج: «أنت تعلمين. ما فعلته ليس حكيماً تماماً..».

- أعلم ذلك. لكن عندما نظرت إلى الخارج رأيت أناساً على الرصيف. بدا وكأنها منطقة ريفية صغيرة مأهولة، فظننت أننا سنجد مكاناً نمكث فيه حتى يأتي القطار التالي. لكن ما إن نزلنا من القطار واختفى الناس حتى تذكرت أن القطار لا يمرّ من هنا سوى مرتين في الأسبوع.

قال وقد بدا الغضب فجأة في صوته: «هل فعلت ذلك مع الطفلة؟»

عضت شفتها. لا بأس، إنه غاضب ولعلها تستحق ذلك. كما أنها هي أيضاً غاضبة من نفسها، لكنه لو رأى كيف يعامل برايان كارلي، وكيف كانت الطفلة منكمشة على نفسها خوفاً.. وقالت بصوت خافت ظهر فيه الضعف: «لديّ اسبابي الخاصة.. صدقني لم يكن لدي أيّ خيار آخر».

وترددت. لم يكن سهلاً أن تطلب شيئاً كهذا من رجل غريب تماماً... وتابعت: «لكن لديك طائرة وقد رأيناها عندما درنا حول البيت. إننا..».

وترددت وهي ترى بريق الغضب في عينيه.. لكنها اضطرت لأن تسأله: «هل من الممكن.. أن تأخذنا بها؟».

وعندما رأت الغضب يزداد في عينيه تابعت بسرعة: «سأدفع لك أجراً طبعاً. أنا لا أطلب ذلك كخدمة».

حدق فيها بعينين خاليتين من أي تعبير: «أتريدينني أن أترك عملي ثم آخذك بالطائرة من هنا؟ إلى أين؟».

- إلى «أديليد».

سألها غير مصدق: «إلى أديليد؟».

- أرجوك.

واشتدت ذراعاها حول كارلي. يا للسماء! لقد أوقعت نفسها وأختها في مثل هذا المأزق. لقد صدقت برايان. ما الذي جعلها تصدقه؟لقد أرادت، في الواقع، أن تصدقه. من أجل كارلي.

وقالت تعترف: «لا أدري ما عليّ أن أفعل. لا يمكننا أن نبقى هنا».

فقال موافقاً: «هذا صحيح. لا يمكنك ذلك».

- إذا لم يكن إلى «أديليد»، فإلى أي بلدة تحتوي على فندق وهاتف ووسيلة نعود فيها إلى العالم الخارجي.

- لا.

- لا؟

- أقرب بلدة بهذه الأوصاف هي «أديليد» والوصول آليها يستغرق ساعات بطائرتي الصغيرة. بالتالي، سأحتاج نهاراً آخذك فيه وأعود وليس لدي نهار فراغ. آسف لعدم تمكني من ذلك، فإقامتي هنا مؤقتة.

- إقامة مؤقتة؟ أي نوع من الإقامة المؤقتة في مكان كهذا؟

ونظرت من حولها غير مصدقة.

جمدت ملامح رايلي كلياً وقال بنعومة: «حذار. لا أريد أي ازدراء في التعليق من فضلك. إنها مزرعتي التي نتحدث عنها».

- ولكن..

وسكتت. لم تشعر في حياتها قط بمثل هذه الغربة والوحشة مع أنها وحيدة دوماً وأبداً.

واستطاعت أخيراً أن تتمالك نفسها وشجاعتها لتواجهه: «أنا آسفة. أظن.. اسمع. أنا لا أفهم شيئاً عن المزارع الاسترالية. هذه أول مزرعة أحضر إليها».

فقال بفتور: «حسناً، لدي سقف فوق رأسي وثلاجة مليئة. ماذا أحتاج أكثر من هذا؟ أتظن أن أحد الذين يسكنون في الناحية الأخرى من خط القطار يقبل بأن يوصلنا بطائرته؟».

- الوصول الى المزارع الأخرى يتطلب نصف نهار. أقرب جار إليّ يبعد أكثر من مئة ميل شمالاً فوق طرق وعرة غير مرصوفة. إنهم يأتون إلى هذه المنطقة ليأخذوا مؤنهم من القطار، وقد لا يعودون إلا بعد أسبوعين. وكان اليوم موعد تسليم المؤن.

يا إلهي! وهمست: «لقد علقنا هنا».

- نعم، إلا إذا طردتكما من هنا.

عندئذ، رفعت كارلي نظرها إليه بشجاعة فائقة، وهمست: «هل ستجعلنا نعود لنجلس على رصيف القطار وحدنا حتى يصل القطار التالي؟».

فتحت جينا فمها ثم عادت فأغلقته محدثة نفسها بأن تقفل فمها.

لا يمكنها أن تطرح عليه ذلك السؤال بشكل أفضل مما فعلت كارلي.

كان رايلي يحدّق فيهما ساخطاً، ثم قال للصغيرة: «أمك مغفلة».

هذا القول جعل جينا تجفل كما فعلت الصغيرة بين ذراعيها التي همست: «أمي ميتة. ماتت أمس».

٢ - ضيفتان مزعجتان

ما من سبيل لتلطيف هذا الوضع البغيض. أدرك رايلي أن كارلي صادقة. وراقبت جينا وجهه فأدركت أنه لمس الصدمة والألم في صوت كارلي، ولمس اليأس الناتج عن الهجر والفراق.

- أنا آسف.

وأخذ ينقل نظراته بين جينا وكارلي مضيفاً: «ظننتكما أماً وابنتها».

ثم نظر إلى كارلي: «من هي هذه السيدة إذن؟».

فهمست الطفلة: «جينا هي أختي الكبرى.. إلى حد ما».

- إلى حد ما؟

فقالت جينا: «إننا أختان غير شقيقتين. نيكول، أمنا، تزوجت مرتين ونحن نتيجة ذلك».

- مرتان؟

قالت جينا وقد ابتدأ اليأس يتملكها: «اسمع، هذا الحديث لا يحل المشاكل».

كانت كارلي تندس فيها. إنّ الصدمة والرعب اللذين أصيبتا بهما في الساعات الأخيرة تفعلان فعلهما الآن، وقد حيرّها أن تبقى الطفلة صامدة. وجذبتها تجلسها على ركبتيها وهي تسأله: «إذن، ألا يمكنك أن تأخذنا إلى أي مكان؟».

تردد ثم هز رأسه وقال بصوت بان فيه الندم: «لا. أنا آسف. مجاري المياه مسدودة والماشية لدي تموت عطشًا، فإذا رحلت قبل

www.liilromancia.com

إصلاحها، سأخسر الماشية. لهذا، لا أهتم برغبات الآخرين كما ترين فلدي أولوياتي».

عضت شفتها وقالت: «أنا آسفة لأجلك».

كانت الأمور تزداد صعوبة بين لحظة وأخرى. إنه رجل مشغول وآخر ما يريده هو امرأة وطفلة تعيقانه ويتحمّل مسؤوليتهما.

وتابعت تقول: «أنا آسفة جداً لمغادرتي القطار».

- وهو كذلك.

قالت بغضب مفاجئ شاعرة بالعجز: «لكن هذا ما حصل».

والعجز هو آخر ما تحب أن تصف به نفسها فهي كانت مسؤولة عن نفسها منذ طفولتها.

- أيمكنك على الأقل أن تدعنا في بيتك حتى يأتي القطار التالي؟

ولما رأت تأثير كلامها على وجهه أسرعت تضيف: «أرجوك، لن نزعجك بشيء».

كان عليها أن تقنعه، وماذا يمكنها غير ذلك؟ وهل لديها خيار آخر؟

تمتم مردداً صدى أفكارها: «ليس لدي أيّ خيار آخر».

وعاد ينظر إلى كارلي ولان قلبه، حتى أنه ابتسم مرة أخرى: «هذا المكان مضحك، وأراهن على أنه لا يشبه المكان الذي اعتدت العيش فيه لكن مرحباً بك».

وابتسم لكارلي فحدقت هذه فيه لحظة طويلة، ثم حاولت أن ترد ابتسامته قبل أن تهمس وهي تندس في اختها: «أنت طيب».

ونظرت إلى أختها: «إنه أحسن من بابا».

قالت جينا ببعض الصلابة: «نعم.. حسناً، هذا قول فظ».

لكنها عادت تلاطف ضفيرتها ثم نظرت إلى رايلي: «شكراً إذا كان حقاً لا خيار لدينا..».

- أنت تعلمين. يمكننا دوماً أن نتصل بالطبيب ونطلب منه أن يأتي لنقلك ونقول إنك تعانين من اضطراب نفسي.

- آه... شكراً.

- هذا قد يفيد فلديهم خدمة للعلاج النفسي.

- أصبحت مهتماً للغاية!

قال وعيناه مازالتا مركزتين على كيرلي باهتمام: «حسناً.. أظنني كذلك تركتك تشربين مائي وتجلسين إلى مائدة مطبخي، وإذا قررت قبول ضيافتي السخيّة للغاية، فسأدعك تشاركينني ما لديّ من بازيلاء مشوية ثم أقدم لكما السرير الاحتياطي عندي، وأطعمكما وأسقيكما حتى وصول القطار التالي».

وتردد لحظة ثم عاد يقول: «أتدركين مدى الخطر الذي عرضت نفسك له؟ وهذا الرجل الذي كنتما معه، هل سيدرك ذلك ويرسل فرقة للبحث عنكما؟».

ردّت بفتور: «لا. لن يفعل».

- ألا تريدين أن تتصلي بالشرطة؟

كانت هذه فكرة حسنة ولكن.. ماذا ستقول للشرطة؟

أنهما خُدعتا؟ سترسل رسالة إلى أبيها، لكنها ليست واثقة من أنه لم يتآمر عليهما مع برايان كما لم تكن تضمن مساعدته.

قالت في محاولة لإظهار البهجة: «نحن وحدنا. أنا وكارلي فقط. وإذا أمكنك أن تستضيفنا فسنكون شاكرتين لك جداً جداً».

- وستكونان ميتتين جداً جداً لو ألقيت بكما خارجاً في هذا الجوّ الملتهب.

- نعم أشبه بمواشيك. سنحاول ألّا نكون مصدر إزعاج.

قال وهو يدفع كرسيه إلى الوراء ويقف: «لا يمكنني احتمال أي إزعاج منكما».

بدت رغبته في الخروج واضحة وهو يقول: «أرجو المعذرة. أشعر بحرّ شديد كما أن جسمي قذر ومرهق وأجد صعوبة في التفكير. أريد أن أستحم بالماء البارد قبل أن ألعب دور المضيف».

وابتسم مرة أخرى لكارلي، ابتسامة دافئة تنطق بالاهتمام. . لكنها لم تتضمن جينا. وقال لها: «ستتحدث عن الطعام والأسرة عندما أصبح نظيفاً. لا تبتعدي. ولكن إذا فعلت، فاملئي عدداً من زجاجات الماء قبل ذلك، فهي تنفع للسير أربعة أيام إلى أقرب جار لي. وحسب علمي ما من أحد قطع تلك المسافة من قبل، فوحده المجنون يفعل ذلك».

وخرج من المطبخ تاركاً جينا لأفكارها المضطربة.

أول ما أرادت أن تركز أفكارها عليه هو كارلي، فعينا الصغيرة مغمضتان وصدرها يعلو ويهبط.

عادت جينا تفكر في برايان، وازداد غضبها وأخذت تتمتم: «تباً له تباً له تباً له!. تباً لهم».

لقد أصبحوا جماعة فجأة: والدها، ووالد كارلي، وأمهما ورايلي أيضاً. . . لقد تجمعوا جميعاً ليتحوّلوا إلى كرة من الغضب البالغ.

لكن هذا غير منطقي في رأيها، فرايلي لا لوم عليه.

لديه طائرة جميلة يمكنها أن تنقلهما إلى فندق جميل في مكان قريب من مطار ما ثم. . .

لكن مواشيه ستموت. لم تشك في أنه قال لها الحقيقة.

بدا مرهقاً. . بدا كرجل يكد أكثر بكثير مما ينبغي للرجل فالطريقة التي غادر بها المطبخ ليستحم بدت يائسة. . . بدا كرجل تجاوز حدود الإرهاق.

لا . . لا يمكنها أن تلومه.

فكرت في نيكول ثم حاولت أن تنبذ شعوراً بالحزن تملكها. لكن جلّ ما شعرت به هو المرارة، المرارة للطريقة التي عوملت بها والمرارة لما حدث لكارلي.

أمهما ماتت وهذا أمر غير مدهش نظرا لنوعية الحياة التي عاشتها.

كانت عينا كارلي مغمضتين تماماً، فحملتها جينا ونهضت واقفة. في مثل هذه السن يُفترض أن تكون كارلي أثقل وزناً مما هي عليه.

كانت الطفلة خفيفة الوزن بشكل خطير. حملتها نحو النافذة المتصدعة، ثم أخذت تحدق في الخارج حيث كان الظلام يهبط.

أين هي تلك المواشي التي تحدث عنها رايلي؟ أتراها من مخيّلته؟ ما الذي يفعله هذا الرجل في هذه المنطقة المجدبة؟ لا يمكن أن يحصّل رزقه في هذه المنطقة. ثم عادت وفكرت في طائرته فازدادت حيرة. بدا واضحاً أن الطائرة باهظة الثمن فكيف يمكن لهذه المزرعة أن تحقق دخلاً يسمح بشراء مثل هذه الطائرة؟

وقالت تحدث كارلي النائمة: «على الأقل ليس تاجر مخدرات فما من نبتة خشخاش في هذه البراري».

وعادت إلى المطبخ حيث الصناديق المتناثرة على الأرض والغبار. تأوهت اشمئزازاً. ماذا عن بقية البيت؟ لم توجّه إليها دعوة للتجوّل فيه لكنها لا تستطيع أن تحمل كارلي إلى الأبد، عليها أن تجد مكاناً تمدّدها فيه.

كان باب المطبخ يؤدي إلى غرفة جلوس تحوي كراسي عدة وكنبة قديمة. وفي الزاوية، لاحظت «غرامافون» قديم.

أما الغبار فكان في كل مكان.

ماذا بعد؟ ثمة غرفتان تتفرعان من غرفة الجلوس ففتحت جينا البابين على اتساعهما ثم تراجعت مذعورة. لا بد أن هاتين هما غرفتا النوم إذ رأت هيكلي سريرين من الحديد يقفان كجزيرتين وسط الغبار. وكان زجاج نوافذ الغرفتين مكسوراً ومكسواً بالغبار.

من المؤكد أن رايلي لا ينام هنا فالغرفتان تنبئان بأنهما لم تريا إنساناً منذ سنوات. وتراجعت بسرعة وكانت كارلي تزداد ثقلاً بين يديها. لا بد أن رايلي ينام في مكان ما. أين تراه الآن؟

عادت إلى غرفة الجلوس وحدّقت في الخارج، فرأت خلف النوافذ القذرة شرفة وباباً. لا بد أنه الباب الخارجي الرئيسي.

هل جاء أحد إلى هنا قط؟

خرجت تاركة الباب مفتوحاً، وراحت تسير بحذر على خشب الأرض المحطم.

في داخل البيت كانت الشرفة بعيدة عن الريح، وبالتالي محمية من الغبار. وفي الضوء الخافت استطاعت جينا أن ترى في إحدى نواحي الشرفة سريراً كبيراً مغطى بالملاءات والوسائد المريحة. لا بد أن رايلي ينام هنا.

سواء أكان رايلي ينام هنا أم لا، بدا هذا المكان أكثر أمكنة هذا البيت إغراءً، فوضعت كارلي بحذر على السرير، وأخذت تنظر إلى الصغيرة وهي تندس في الوسائد.

ولكن.. هل بإمكانها ذلك؟

ما الذي ورّطت نفسها وأختها فيه؟ إنها مشكلة حقاً، كما أخذت تفكر بحسرة. كيف حدث هذا؟

كانت جينا تحرص على استقلالها، لكن كارلي رميت في حياتها عنوة فكيف يمكنها أن تدعها وترحل؟

مرت بإصبعها على وجه كارلي الملطخ بالغبار وقد تملكها العطف على الصغيرة التي ابتدأت تحبها بشكل لم تكن تظنه ممكناً. إلى أين ستذهب من هنا؟ كيف يمكنها أن تواجه هذا الوضع؟

مع رايلي جاكسون؟ مع مستقبلها؟

خطوة خطوة... لتعش لحظتها الحالية، وإلا فستجن.

التفتت وأخذت تحدق في السرير الثاني في الناحية البعيدة من الشرفة. كان عليه فراش ووسادتان وبدا مريحاً لكنه أقرب مما يجب من سرير رايلي.

حدثت نفسها بأن البديل هو محطة القطار. وعبست. لن تشارك ذلك الرجل مكان نومه...

وفُتح الباب في آخر الشرفة، ليبرز ذلك الرجل أمامها.

بدا أنه خرج لتوّه من الحمام، فالماء ما زال يقطر من شعره.

لم تجد عيباً في روعة جسد رايلي الذي بدا كتمثال إله إغريقي. وحملت نفسها على النظر إلى وجهه وقد تغير لونها، بسبب تحديقها فيه.

قال وهو يضحك: «أنا لست معتاداً على استقبال زائرين، مرحباً بك في سريري».

قوله هذا جعل وجهها يزداد احمراراً. إنها في غرفة نومه فماذا تتوقع غير هذا؟ وتمتمت وهي تشير إلى الطفلة النائمة خلفها: «أنا.. أنا آسفة.. أنا بحاجة... إنها بحاجة..».

نظر إلى حيث أشارت ثم بدت الرقة على ملامحه وقال متفهماً: «طبعاً. أنا آسف. كان عليّ أن أفكر في ذلك قبل أن أدخل الحمام».

- سأنقلها من هنا.

- لا حاجة إلى ذلك.

وحمل ملابسه من على الكرسي القريب، وهو يقول: «سأرتدي ملابسي في غرفة الغسيل، وسأراك في المطبخ بعد خمس دقائق».

وعندما توارى خطر لها أنه شعر فجأة بمثل الاضطراب الذي يتملكها.

هل هذا ممكن؟

بعد خمس دقائق، عادا واجتمعا في المطبخ. وكان رايلي قد أحضر مصباحاً يعمل على الكاز فأشعله وأنار ظلمة المطبخ ما جعل لونها يعود إلى طبيعته.

كان يرتدي سروالاً من الجينز الحائل اللون فقط لا غير. عندما كان يرتدي الملابس الخشنة ويغطيه الغبار، بدا لها وسيماً للغاية، أما الآن فكافحت لتكبح شهقتها وهي ترى صدره العريض الذي لوّحته الشمس ووجهه القوي الملامح بعظامه البارزة.

حدثت نفسها بيأس بأنها لا تهتم بالرجال. لم تهتم بهم قط، فقد رأت ما يفعله الحب بحياة النساء وكرهت أن تجرب ذلك. لطالما

عاشت مستقلة وهي تريد أن تبقى كذلك . لكنها بعيدة كل البعد عن الشعور بالراحة هنا : «آسفة لذهابنا إلى غرفة نومك».

ابتسم ابتسامة رقيقة ساخرة رأتها غريبة بالنسبة لصورته في ذهنها . وعندما تأمّل توهج وجهها قال بابتسامة عريضة : «لم أتعوّد على وجود نساء في بيتي. سأحرص في المستقبل على أن أبقى محترماً».

في المستقبل؟ يا إلهي! وانحبست أنفاسها ألماً وهي تحدّق في هذا الرجل الطويل القامة. ستبقى هنا ثلاثة أيام . . .

- أيمكنني أن أثير اهتمامك بالبازيلا المشوي؟

كان هذا لطفاً من رايلي. ونظرت إلى وجهه فشعرت وكأنه قرأ أفكارها، ولم يعجبها هذا الشعور.

الطعام. . . عليها أن تركز على الطعام. في الواقع، لا بد أنها جائعة لأنها لم تأكل شيئاً منذ الفطور، كما عليها أن توقظ كارلي وتقنعها بأن تأكل بعض الطعام هي أيضاً. لكن بازيلا مشوية؟ كارلي لا تكاد تأكل شيئاً، وأن تقنعها بأن تأكل البازيلا يبدو مستحيلاً.

لا بد أن أفكارها ارتسمت على وجهها، لأن المرح بدا في عيني رايلي السوداوين وهو يقول: «هذا المكان ليس مطعماً خمس نجوم أيتها السيدة».

فقالت وهي تركع بجانب صندوق معلبات: «لا. أليس لديك غير البازيلا؟».

وقف فوقها يفيض بالرجولة إلى حد الإرباك: «أحب البازيلا».

- أما أنا فلا.

- أيتها السيدة.

قالت من دون أن تعي أنه يحدّق فيها وعلى وجهه تعبير غريب للغاية: «ولا كارلي تحبه».

وتابعت تقول: «عليّ أن أجعلها تأكل. من المؤكد أنك لا تعيش على البازيلا فقط. من يمكنه ذلك؟».

- أنا معتاد على الخشونة.

- نعم لكنك لست غبياً

وراحت تتناول علب الطعام واحدة بعد الأخرى وتتفحص ما كتب عليها : سبانخ وبازيلا مشوية، سبانخ وبازيلا مشوية. لكنها عثرت في القعر على علب مختلفة، ألقيت بإهمال وكأن البائع لا يتوقع استعمالها، لكنه وضعها ليريح ضميره. ووجدت بعض الأعشاب والبهارات وبعض البصل الأخضر الذابل الملقى بإهمال تحت هذا كله. كما عثرت على كيس كبير من الأرز.

- أيمكنني أن أستعمل هذه؟

وقف إلى جانبها ليرى ما تحمله فاحتك صدره العاري بذراعها. كان قريباً منها للغاية فابتعدت عنه وكادت تقع. مد يده يسندها، وقال وكأنه غير واع لمدى قربها منه : «فتحت علبة من هذه ذات مرة وسكبتها فوق السبانخ فكان مذاقها أشبه . . .».

قاطعته بفتور : «يمكنني أن أتصور مذاقها. لماذا تشتريها إذا كنت لا تحبها؟».

- أنا لا أشتريها. ماغي تشتريها لي. طلبت منها البازلاء والسبانخ، لكنها تدسّ دوماً بينها مثل هذه الأشياء الغريبة.

وضحك ورفع يده مستسلماً : «أنت وماغي ستنسجمان معاً، لأنكما تحبان الخضار».

- إنها امرأة ذكية.

وتابعت البحث بين العلب، فيما إحساسها بقربه لا يزال يربكها : «من هي ماغي؟ زوجتك؟».

- زوجتي؟

هل صّورت لها مخيّلتها المرارة في كلماته؟ أم أنّ هناك أثراً لذلك فعلاً؟

- لا، يا سيدتي. ماغي هي. . . مدبرة منزلي.

- ألا تقيم هنا؟

- أنت ذكية جداً، لا. إنها لا تقيم هنا، هذا المكان كان خالياً من النساء إلى أن جئت أنت وكارلي، وآمل أن يعود كما كان قريباً جداً.

- أنت لا تحب النساء إذن.

كان هذا السؤال غبياً، فهذا ليس من شأنها، لكنه انطلق من فمها من دون تفكير. وعادت تركز على المعلبات التي أمامها بينما أخذ رايلي يحدق فيها ما جعل الارتباك يتملكها من جديد.

طال الصمت بينهما، وعندما تكلم مرة أخرى أدركت أنها كانت على حق حين شعرت بمرارة في صوته، إذ يبدو أنها لمست وتراً حساساً.

- المسألة ليست أنني لا أحب النساء، لكن لا وقت لديّ لهن.

- لديك وقت لماغي فقط.

فابتسم: «نعم، يا لك من حاذقة».

ورفع علبة بازيلا: «فلنسخن هذه. أريد أن أذهب إلى النوم».

فقالت وهي تنهض حاملة معلبات أصغر: «دعني أطهوها. امنحني عشر دقائق أفرغ فيها المعلبات الصالحة للأكل».

فقال يحتج على قولها: «البازيلاء صالحة للأكل».

وعندما نظرت إليه، يا للسموات! بدا أشبه بطفل فلان قلبها: «اسمع، جرّب ما سأطهيه. فإذا لم يعجبك، يمكنك أن تسخن البازيلاء لنفسك. ما رأيك؟».

- هذا سخاء بالغ..

فقالت ضاحكة: «لِمَ لا تبتعد من هنا، وعندما أنتهي أناديك؟».

- ماذا؟ هل أجلس في الصالون وأشاهد التلفزيون؟

وجلس على كرسي ثم وضع قدميه الحافيتين على الطاولة واستند إلى الخلف، وكأنه يشاهد التلفزيون، ثم قال: «هذا غير ممكن يا آنسة سفنسن. إذا كنت تطهين طعامي، فعليّ أن أشرف على العمل. أنا لست

بالرجل الذي يتهرب من مسؤولياته».

ابتلعت الغثيان الذي شعرت به وهي ترى نفسها تحت حكم رجل مربك كهذا، حتى أنها استطاعت أن تبتسم. وضعت بصلتين على المائدة ثم توجهت إلى الحوض لتحضر سكيناً قبل أن تواجهه قائلة: «بقي أمر واحد فقط».

- وما هو؟

كان رايلي يراقبها بحذر، ربما بسبب السكين الذي تحمله الآن، وقالت: «لديك الخيار. الوجبة هي خضار مقلية وأرز على الطريقة الصينية. لكن إذا لم تبعد هاتين القدمين عن المائدة يا رايلي جاكسن، فسوف أضيف لحماً مقلياً».

ورفعت السكين.

ساد الصمت لحظة راح أثناءها ينقل نظراته بين السكين وأصابع قدميه، ونظر إليها وتغير وجه. بدا وكأنه يظن أنها تعني تهديدها.

وأخيراً، أبعد أصابع قدميه المزعجة وهو لا يزال ينظر إليها، ثم قال بلهجة مطاطة: «آسف، يا سيدتي».

كانت لهجته المطاطة تسعى لإخفاء شعور أعمق، واستقام في جلسته وهو يتابع: «أصابع قدميّ ليست على لائحة طعام أيّ شخص».

- هذا صحيح.

وخفضت السكين ونظرت إلى الرجل الذي أمامها بعبوس خفي. شعرت بما يشبه التيار الكهربائي وراء هذا الكلام: «أراهن على أن كل إصبع من أصابع قدميك بصلابة حذاء قديم».

٣ - قصة من الخيال

إذا كان لدى جينا ما تفخر به، فهو إجادتها الطهي.

فسنوات طويلة من العطل المدرسية أمضتها وحدها حيث كانت الخادمات صديقاتها الوحيدات. وكانت تمضي أوقاتها في مطابخ الفنادق أو بيوت والديها. ولعلها الأماكن الوحيدة التي عرفت فيها العطف والشفقة، إلى جانب الطهي الرائع.

إنها بحاجة الآن إلى كل مهارتها لتحضير طعام لذيذ من الخضار المعلّبة هذه.

- لِمَ لا تخلطين هذا كله معاً وتحركيه؟

طرح رايلي عليها هذا السؤال، فأجابت: «أكون بذلك قد حضّرت يخنة».

- وما العيب في اليخنة؟

- ربما لا عيب في ذلك بالنسبة إلى شخص يعيش على البازيلا المشويّة لكن البعض منا ذوّاق.

لاحت على شفتيه ابتسامة خفيفة كسولة وهو يتابع مراقبتها، ما جعلها تشعر بالاضطراب.

- لِمَ تضعين هذه الخضار جانباً؟

- سأطعم كارلي أولاً من الأرز والمرق ثم أعيد تسخين الأرز وأضيف إليه الخضار لنأكل نحن. والآن خذ وحرّك هذا بينما أوقظ أنا كارلي.

أدهشها نوعاً ما أن يتسلّم مهمة تحريك الطعام. وعندما عادت بأختها نصف النائمة إلى المطبخ أدهشها مرة أخرى عندما مد ذراعيه ليتناولها منها.

ترددت، فلم تكن معتادة على تلقي المساعدة، وتوقعت تقريباً أن ترفض كارلي وتبتعد حياء، لكن الطفلة استقرت على ركبتيه من دون اعتراض وهي تحدّق في جينا بعينين ساهمتين. أخذت تفتح فمها لتلقي الطعام كطفلة صغيرة، ولو لم تكن جائعة لما استطاعت أن تأكل على الإطلاق كما خطر لجينا . . تناولت الطفلة مقداراً جيداً من الطعام قبل أن تغمض عينيها مستسلمة للنوم.

همست شاكرة رايلي وهي تحمل الطفلة عائدة بها إلى السرير فأجاب: «لا داعي للشكر».

وابتسم لها فعاد إليها ذلك الشعور بالاضطراب، وحدّقت فيه بتشكك، لكن الوقت لم يكن يسمح بتفحص سبب شعورها هذا. عليها أن تركز أفكارها على كارلي.

استغرق وضع الطفلة في سريرها دقائق عدة، وعندما عادت إلى المطبخ كان رايلي قد سكب الطعام في طبقين، وأضاف الخضار إلى الأرز بنفسه.

قال: «ظننتك لن تأتي أبداً، وهكذا رأيت أن البازيلاء سوف تفسد».

- ظننتك لا تهتم بذلك.

حدق في الأرز والخضار المشبعة بالصلصة والتوابل، ثم أغمض عينيه وأخذ يستنشق الطبق: «بل أهتم، صدقيني».

- ماذا؟ وماذا عن البازيلاء؟

فقال متذمراً: «أظن أن بإمكاني أن أتكرّم وأتذوق هذه».

وجلس ثم غرف مقداراً كبيراً وضعه في صحنه لكن جينا جذبت صحنه إليها قائلة: «لا حاجة لأن تكون مهذباً. سآكل حصتك أما أنت

فاذهب إلى البازيلاء ياسيد جاكسون».

فقال وقد عادت ابتسامته الرائعة: «هل يمكنني أن أستعيد عشائي يا آنسة سفنسن؟».

وازدادت ابتسامته اتساعاً عندما أبعدت صحنه أكثر، وقال: «أودّ حقاً أن أجرب عشاءك، ومن الطمع أن تأكلي هذه الكمية كلها وحدك».

نظرت جينا إليه بحذر. كانت ابتسامته جذابة، رائعة، وأرادت المزيد منها، فقالت: «قل من فضلك».

- من فضلك.

واختطف الطعام منها وبدأ بالأكل قبل أن تستطيع الابتسام. اتسعت عيناه ذاهلاً وعلّق: «أوه!».

- ألا تريد البازيلاء؟

- أبداً.

وأخذ يتناول الطعام ملعقة تلو أخرى: «أفكّر في أن أقفل عليك الباب هنا إلى الأبد. ترجلّك من القطار لم يكن تصرفاً أحمق إذ أصبح لديك الآن وظيفة إلى الأبد».

وظيفة إلى الأبد! لم تجب لكن ضحكها تلاشى فجأة، فيما ارغمت نفسها على الاستمرار في تناول الطعام. لقد لمست كلماته وتراً حساساً.

استمرت في تناول الطعام لكنها لم تستطع التوقف عن التفكير في عبارة وظيفة إلى الأبد.

ماذا عليها أن تفعل الآن؟ كيف تتصرف؟

اقترح رايلي إبقاءها هنا.. مقفلاً الباب... وما من شيء يمنعه من القيام بذلك. هل سيبحث برايان عن ابنته؟ هل سيهتم أبوها بها؟

لن يفعل هذا أحد؟

ونيكول ماتت.

رفعت بصرها فرأت عينيه عليها تتساءلان برقة. وتلاشت ابتسامته

وهو يقول: «لن أفعل هذا، أنت تعلمين ذلك».

- لن تفعل؟

- أعني إبقاءك هنا.

وعاد يبتسم ابتسامة غاية في الرقة وهو يتابع: «إذا أمكنني آخذك إلى «أديليد»، فسأفعل. لكن القطار سيعود بعد أربعة أيام فتكونين آمنة. وأثناء وجودك هنا ستكونين آمنة أيضاً. يمكنك أن تثقي بي يا جينا».

لقد فرضت نفسها على هذا الرجل بغبائها... لكنه كان بالغ اللطف. وتملكتها غصة في حلقها فقاومتها. متى كانت آخر مرة بكت فيها؟ لا تتذكر فهي لم تبك قط من قبل وهي لا تريد أن تبكي الآن.

عندما رأى اكتئابها، أراد أن يخلصها منه فسألها: «هل كان برايان، والد كارلي، في القطار»؟

- نعم.

- لو نظر إلى الخريطة لرأى مدى الخطر الذي يتربص بكما.

فقالت بفتور: «لن ينظر إلى الخريطة. كما لن يفكر فينا أبداً».

أنهى رايلي عشاءه، فنظر إلى صحنه الفارغ بأسى ثم دفع مقعده إلى الخلف كرجل مستعد للإصغاء طوال الليل.

- أتريدين أن تخبريني عما حصل؟

- ليس كثيراً.

- إذا كنت سأساعد..

- لقد فعلت ما فيه الكفاية.

تردد ثم قال: «أخبريني إذن لأنني أريد أن أعلم. ثمة سبب جعلك تغادرين ذلك القطار، وأريد أن أعرفه».

- ما كان ينبغي أن نستقلّه قط.

- لِمَ فعلت إذن؟

عضت شفتها: «أرسلت لنا نيكول التذاكر، أو ظننت أنها أرسلتها».

www.elromancia.com

- نيكول؟

- إنها أمي وأم كارلي.

- السيدة التي توفيت أمس؟ هل لك أن تفصحي؟

تنهدت ثم جذبت صحنه إليها وهمّت بالنهوض، لكنه أمسك برسغها يمنعها. كانت قبضته قوية ومع ذلك رقيقة، متلهفة ومع ذلك صبورة: «أخبريني يا جينا».

إنها بحاجة إلى عون هذا الرجل. عليها إذن أن تخبره. قالت: «نيكول ريزور هي . . . أعني كانت أمي».

- نيكول ريزور. المغنية الأولى في «سكيريزور»؟

أجابت عابسة: «نعم. المغنية السابقة، وعارضة الأزياء السابقة ومدمنة المخدرات السابقة، والسابقة في كل شيء يخطر في بالك».

- أتذكر أنها كانت متزوجة من. .

وتردد، ورأت عينيه تتسعان وهو يقول: «من تشارلز سفينسن».

- قائد السباق، نعم هذا أبي.

- لكنه ليس والد كارلي؟

- والد كارلي هو زوج نيكول الرابع. . أما الأول فتشارلز، ولعل برايان كان غلطتها الكبرى. تزوجته وهي في قمة إدمانها على المخدرات. تزوجها ليتمكن من سلبها ما يستطيع. كل أزواجها تزوجوها من أجل الشهرة.

فقال ببطء: «أنت إذن غنيّة. أنت ابنة تشارلز سفينسن ونيكول ريزور».

ماذا كان يفترض بها أن تقول؟ لقد تعلّمت ألاّ تتكلم لكنه ينتظر جوابها. وبمزيج من المزاح والاشمئزاز. . سلاحها الوحيد، قالت ساخرة: «فتاة صغيرة غنية ومسكينة».

لكن وجهه بقي هادئاً يقظاً، وسألها: «وماذا حدث بعد ذلك؟».

- كما قالت كارلي. ماتت نيكول أمس.

- لست أفهم ؟

ترددت: «هذا سهل، لا بل هو صعب. لكنني سأختصر كلامي. لم ترغب نيكول بي ولا بكارلي. كنا غلطتين منها. كما أن برايان لم يرغب في كارلي يوماً وسرعان ما كره هو وأمي بعضهما البعض. منحت المحكمة أمي حق الوصاية على كارلي، فسارعت إلى وضعها في مدرسة انكليزية داخلية. . .».

فقطب رايلي جبينه: «مدرسة داخلية لطفلة في الخامسة؟».

أجابت جينا بمرارة: «الأماكن التي تقبل الأطفال في مثل هذه السن قليلة للغاية فكان عليها أن تدفع مبلغاً باهظاً، وقد فعلت. وجذبتها المدرسة الإنكليزية لأنها كانت في إنكلترا، وبما أن برايان أسترالي لن يستطيع أن يقترب من كارلي. أرادت نيكول أن تسبب له المزيد من الأذى».

وفكرت جينا بمرارة في أن أمها تصرفتْ معها على النحو ذاته لأن أباها كان أميركياً.

- يا لجهنم!

همست جينا : «نعم، كان هذا جهنماً».

لكنها لم تخبره لما تعتبر حياتها جهنماً وتابعت تقول: «بقيت سنوات من دون اتصال بأمي، لكنني عندما عرفت بأمر كارلي، أدركت أن مدرستها لا تبعد سوى ساعة عن مكان عملي، فاعتدت أن آخذها معي إلى بيتي كلما استطعت. كنت أكره إبقاءها هناك».

- لماذا لم تأخذيها بصفة دائمة؟

لمعت عيناها وهي تنظر إليه. هل لمست إدانة في نبرته؟ لم تشأ أن تخبره عن السبب . كيف يجرؤ على إدانتها؟؟

اشتبكت نظراتهما لحظة، تتبادل الغضب، لكن الرقة عادت إلى عينيه أولاً، وسألها متجاوزاً رغبته في الحصول على الجواب عن سؤاله الأخير: «وهكذا، كيف وصلت إلى هنا؟».

- اتصل بي برايان.

أضافت محاولة ابتلاع غضبها: «لم أكن أعرف برايان من قبل، كما لم أرَ أمي منذ سنوات. وكل ما كنت اعرفه عنها قرأته في الصحف. عرفت أنها نالت حضانة كارلي فيما خسرها هو، هذا كل ما كنت أعرفه، وكنت قد أخذت كارلي من المدرسة في عطلتها فاتصل بي، وقال إن نيكول في استراليا، في «بيرث» وكنت قد قرأت في الصحف أنها تقوم برحلة سياحيةً».

سألها: «وهكذا رأيت أن تأتي لرؤيتها؟».

-لا يمكن لأي شخص أن يرى نيكول.

وترددت محاولة أن تتذكر المشاعر التي تملكتها عندما اتصل بها برايان، ثم تابعت تقول: «كان صوت برايان كئيباً حقاً. قال إن نيكول تعاني من الكآبة، ما لم يدهشني فلطالما عانت من شيء ما، وبعد الحياة التي عاشتها والحبوب التي تعاطتها، قليل من الاكتئاب هو أقل ما يمكن أن يتملكها. وعلى أيّ حال، قال إنها تريد أن ترانا وهي مستعدة لدفع التكاليف كلها إذا جئنا على الفور».

- وهكذا جئتما.

- لم أرغب في المجيء. أعني، لِمَ قد أرغب في رؤية نيكول؟ لم تكن لي علاقة بها منذ سنوات. لكن برايان أراد أن تأتي كارلي إلى هنا، وبما أن نيكول مريضة، فقد جاء قرار الاتصال بنا من برايان. واذا لم أحضر مع كارلي فسنضطر لأن تستقل الطائرة وحدها. أضاف برايان ما حفزنا وهو أننا سنركب القطار.

- لِمَ القطار؟

- قال إن هذه فرصة جيدة علينا ألاّ نخسرها، وبرايان شخص مقنع للغاية، قال إنه يفتقد كارلي كثيراً، فإذا جئنا إلى سيدني بالطائرة وركبنا القطار مدة ثلاثة أيام لنصل إلى بيرت، فلن تكون إجازة مثيرة لنا وحسب بل ستتاح له فرصة البقاء ليكون مع ابنته لفترة.

وترددت محاولة أن تتذكر سبب موافقتها ثم عادت تقول: «بدا لي هذا معقولاً، كنت أعلم أن نيكول ستقيم الدنيا وتقعدها لكي تبقى كارلي وبرايان بعيدين عن بعضهما وإذا لم يفعل أحد ما تريده نيكول، فسيتملكها غيظ بالغ. وهكذا إذا قدمت كارلي إلى استراليا، فسيكون برايان شاكراً إذا اتيحت له فرصة تمضية بعض الوقت معها. أنا لم أرغب في المجيء، لكنني عندما أخبرت كارلي عما يحدث انهارت. في النهاية لم أستطع أن أدعها تسافر وحدها، فوافقت، وهذه بداية غلطتي. إنها غلطة كبرى، قامت على كذبة صريحة».

وساد الصمت لحظة. فيما استقرت عيناه على وجهها وشعرت بأنه أحس بألمها حين قال برقة: «أخبريني لما كانت هذه غلطة؟».

شعرت بالغثيان..

وعاودتها المشاعر التي خالجتها طوال اليومين الأخيرين وأوشكت أن تدّمرها، لكنها أرغمت نفسها على أن تتابع: «أصر برايان على أن نأتي على الفور. قال إن ليس لديه عطلة سوى أيام قليلة ولعل نيكول تغادر مدينة «بيرث» أو تبدلّ رأيها فنفقد هذه الفرصة. وهكذا جئنا، لقد استقبلنا في مطار سيدني حيث أخذنا إلى محطة القطار مباشرة. وكان لطيفاً معنا، لطيفاً حقاً، بقي لطيفاً حتى اللحظة التي صعدنا فيها ثم انهار كل شيء».

- ما الذي حدث؟

- أصبح قاسياً. لم يكن قاسياً معي، بل قذراً فقط. لم يستطع أن يرفع يده عني لكنه أمضى الرحلة في القطار وهو ينهر كارلي. لم أستطع أن أصدق ما أراه، أن يسخر رجل ناضج من طفلة في الخامسة من عمرها وينهرها.

ورفعت جينا بصرها إليه راجية أن يفهم: «أنت رأيت كارلي، والكل يمكن أن يرى مدى هشاشتها. إنها أجمل طفلة لكنها خرقاء بعض الشيء. بدا وكأن برايان يريد أن يغريني، وكأن بإمكانه ذلك. كان يظن

أن كارلي تعيقه».

قال رايلي: «لكنك بقيت معه».

فأومأت: «نعم رأيت أن أغادر القطار عندما ندخل «أديليد» ولكن . . ».

وترددت، كيف تقول إنها لا تحمل نقوداً لتستقل الطائرة إلى «بيرث»؟ وإن تذكرة العودة إلى الوطن مدفوعة من مدينة «بيرث»؟ أما أجرة القطار فكانت مدفوعة لذا قررت أن تبقى على ما هي عليه.

لكنها لن تخبر رايلي بهذا، ولم تعد تهتم بما قد يظن. وقالت بفتور: «لكنني لم أفعل. استمرت الرحلة نصف يوم آخر، ثم سلّم الموظف في القطار برايان رسالة وصلت لتوّها باللاسلكي».

وأدرك ما ستقوله: «هل جاء في الرسالة أن نيكول ماتت؟».

فأجابت بفتور: «نعم. مسألة الاكتئاب كانت كذبة. وأنا لم أناقشه في الأمر».

- ماذا حصل إذن؟

فقالت بصوت فاتر لا حياة فيه: «كانت قد أخذت جرعة مفرطة من المخدرات. لم نكن نعلم خلافاً لبرايان أنها كانت غائبة عن الوعي منذ خمسة أيام، وبقيت على قيد الحياة بفضل الأجهزة».

فقطب حاجبيه: «ولكن . . ».

فقالت: «لم يكن لدى نيكول أسرة، ما عدانا، أنا وكارلي. يبدو أنّ إجراءات الطلاق بينها وبين برايان تأخرت فأبقى برايان الأمر سراً، راجياً كالمجنون ألّا تعلم نيكول بالأمر. وهكذا بقي زواجهما رسمياً. ربما كان يرجو أن تموت باكراً. على أيّ حال، منع المستشفى من إعطاء الصحف أخباراً عن حالتها الصحية ثم أحضرنا إلى هنا. وحالما أصبحنا في القطار، سمح بإيقاف الجهاز الذي يساعدها على البقاء».

ساد صمت طويل قال بعده: «مازلت لا أفهم».

لم يفهم؟ هي نفسها تكاد لا تفهم. رفعت كوب الماء وأخذت تديره

وتديره لكن رايلي وضع يده على يدها يرغمها على ترك كوب الماء. وتركت الكوب لكن يده بقيت حيث هي، دافئة قوية مرغمة، وقال: «أخبريني».

كان عليها أن تخبره، أن تقول ذلك بصوت مرتفع: «هذا بسبب وصية نيكول».

- ماذا عن وصية نيكول؟

- أذكر فقط ما صاح به برايان، لكن وبحسب ما فهمت. . . عندما تزوجت أمي برايان، كتبت وصية تركت له فيها ممتلكاتها كلها. لكنها أخذت تكره برايان بقدر كراهيتها لأبي.

وترددت، محاولة أن توضح أمراً ليس منطقياً. . أمر لا يستطيع أن يفسره سوى حقد غير مبرر، ثم تابعت تقول: «طوال صغري وصغر كارلي، بذلت أمنا جهدها لتبعدنا عن والدينا، فجعلتنا نستقرّ في إنكلترا. تشارلز في أميركا وبرايان في استراليا فيما أنا وكارلي في إنكلترا. وإذا اقترح أحدهم أن ننتقل إلى أي مكان آخر تثور ثائرتها».

أومأ محاولاً أن يستوعب كلامها: «وهكذا؟».

- وهكذا، يقول ملحق الوصية إنه طالما أننا، أنا وكارلي، لا نزال في إنكلترا بعد موتها، وليس لدينا أيّ اتصال بوالدينا، سنرث كل ما تملك، علماً أنّ هذا يعني ثروة طائلة. لكن يبدو أن الطريقة التي كتب بها الملحق بخط اليد تعني أننا إذا لم نكن في إنكلترا يوم موتها بالذات، ستبقى الوصية الأصلية شرعية ويرث برايان مالها كله.

أظلمت عيناه وتوهج فيهما الغضب: «ولهذا أقنعك بمغادرة إنكلترا».

- هذا لا يهمني شخصياً، لكن الطريقة التي حصلت فيها الأمور كانت فظيعة. دخل برايان غرفة الاستراحة في القطار حيث جلست امرأة عجوز تحدث كارلي عن الشعب الذي يعيش في هذه البراري. كانت كارلي سعيدة، سعيدة لفترة قصيرة قبل دخول برايان.

سار مباشرة إلى كارلي وأخذ يصيح بها: «أمك ماتت ولن تحصلي على شيء. أنا الرابح أيتها الطفلة الغبية. لن تحصلي على شيء».

همس رايلي بذعر: «كلا».

- لهذا نزلت من القطار. لم أجد أيّ حل آخر. أخذت كارلي تعرج لهول الصدمة، فحملتها وأعدتها إلى مقصورتنا ثم اخذت ألقي بأغراضنا في حقائبنا بسرعة لأن القطار توقف. وعندما ابتدأ يتحرك ترجلنا منه. وهكذا انتهت القصة، فتابع برايان طريقه إلى مدينة «بيرث» ليطالب بإرثه من زوجته نيكول، أما أنا وكارلي.. أنا وكارلي سنعود إلى الوطن.

وتاهت بها الأفكار.. إلى أين في الوطن؟ إلى سريرها الصغير الكئيب؟ البيت مع كارلي. لم يعد لديها نقود لدفع كلفة مدرسة كارلي. من الآن وصاعداً ستعيش كارلي معها.

ربما هذا أفضل، على أيّ حال.

ربما بإمكانها أن ترفع دعوى لتطالب بثروة نيكول لإعالة كارلي. لكن الواقع عاد يصفعها. هل بإمكانها أن تدفع أجر محام؟

على أيّ حال، عليها أن تعود مع أختها إلى الوطن، عليها أن تذهب إلى «بيرث» لتتمكن من أن تستعمل تذكرتهما للعودة. كم سيكلفها الوصول إلى «بيرث» وهل مازالت تذكرتا القطار صالحتين للاستعمال؟

بالرغم من حرارة الجو، أخذت جينا تشعر بالبرد، وارتعد جسدها، فجذبت يدها من يد رايلي وشرعت تقف. رفعت طبقاً عن المائدة لكن رايلي سبقها إليه وأخذه من يدها قائلاً وهو يقف: «دعيه. سأغسل أنا الصحون. يكفي أنك طهوت الطعام، اذهبي واستحمي بينما أنظف أنا وأحضر القهوة».

- قهوة؟

قال باعتداد: «هذا الأمر الذي أجيده. قهوتي هي الأفضل على مدى أميال».

فردت بحدة: «لا أهمية لهذا».

وتجاوبت مع الابتسامة الرقيقة في عينيه. كان يشجعها على استعادة مرحها... جعلها تبتسم حين بدا لها الابتسام مستحيلاً، وقالت: «المنطقة خالية على مدى أميال إلا إذا كانت أبقارك تحضّر القهوة».

- لا تستخفي بمهاراتي. انتظري.

واستدار نحو كوة عند الباب أخرج منها الملاءات حملها على ذراعه: «خذي، يا آنسة سفنسن. لا أسمح بأن يقال إنّ «مرتفعات بارينيا» لا تكرّم ضيوفها».

وضحك وهو يرى نظراتها الحائرة وقال: «ترسل ماغي معي هذه فيما لو فكرت في تغيير ملاءات سريري وهذا لا يحدث غالباً. بالمناسبة، أنت تعرفين مكان الحمام فقد رأيتني أخرج منه. عليك أن تحاذري من العناكب. خذي معك المصباح الكهربائي. وإذا عضك عنكبوت، فتأكدي من أن العضة في مكان يمكنني الوصول إليه لأضمده لك».

- أنت تمزح.

فقال بلين: «نعم. أنا أمزح».

ونظر إلى ثيابها سائلاً: «هل انت بحاجة إلى ملابس للنوم؟».

- أظن ذلك.

كانت قد وضعت كارلي في السرير في ملابسها الداخلية، لكنها لن تنام هكذا هي نفسها وقالت: «تركت أمتعتنا في الخارج».

- هذا منتهى الحكمة. الأمر الحسن هو أننا الوحيدون في المنطقة ولا أحد سيسرق ملابسك الثمينة.

ملابسها الثمينة؟ من يظنها؟ حاولت أن تعبس لكنها كانت متعبة للغاية، مربكة و.. ولاحظ هو ذلك، فقال: «سأضع لك أحد قمصاني على باب غرفة الغسيل».

شعر بالعطف عليها لارتباكها الفجائي، ووضع يده على كتفها برفق

يطمئنها. كانت حركة يمكن أن يستعملها مع أختها كارلي فلِمَ جعلتها تشعر برغبة مفاجئة في البكاء؟ لم تكن تدري... وتابع هو يقول: «اذهبي إلى الحمام واستحمي، يا جينا. غداً تقلقين بشأن الغد، أما الليلة فأظننا جميعاً بحاجة إلى النوم».

أرادت فعلاً أن تنام، لكنها أرادت أيضاً أن تستحم. سوّت سريرها في الناحية البعيدة من الشرفة، ثم رفعت كارلي إليه.

كانت كارلي مستغرقة في النوم لشدة حاجتها إلى ذلك، لكن جينا ليست محظوظة إلى هذا الحد، فالغبار يغطي جسدها كله، والتفكير في المياه الباردة بدا أكثر جاذبية من النوم.

كانت الطفله مستغرقة في النوم، حتى وهي تتحرك.. وفكرت جينا في لهجة رايلي وهو يتحدث إلى كارلي، كيف ابتسم لها وكيف تجاوبت هي معه. حتى أنها همست حينذاك: «أنت ظريف وأظرف من أبي».

إنّ رايلي جاكسن رقيق ذو حشمة أصيلة جعلتها تدرك أن بإمكانها الاعتماد عليه. هل بإمكانها الإعتماد عليه؟ وهمست لنفسها: نعم، بإمكانها ذلك. قد يجعل هذا الرجل حواسها تنتعش كما لم يحدث لها من قبل... وقد يجعلها تشعر نحوه بما لم تشعر به نحو رجل آخر... لكنها أدركت أنها وجدت في بيته فردوساً لأختها الصغيرة. وهكذا، يمكنها أن تستحم. وبدت الفكرة جذابة

أن تسمي هذا المكان حماماً هو مجرد مزاح، فالغرفة المتداعية الماثلة على جانب المنزل مؤلفة من أربعة جدران، وأرض من الإسمنت وأنبوب ينتهي برشاش.

خلعت جينا ثيابها ودفعت يد المضخة بعنف ما جعل الماء يندفع فوق جسدها.

وسمعت صوتاً يسألها: «أتريدينني أن أدخل وأساعدك؟».

ردت بصوت كالعواء فانفجر ضاحكاً، ومن الغريب أن ضحكه هذا طمأنها. لكن الباب انشق قليلاً فسارعت إلى تغطية صدرها. لكن كل

ما بدا لها هو ذراعه التي لوحتها الشمس، ممسكة بقميص. وارتفعت الذراع ثم علقت القميص خلف الباب.

وقال بصوت مجروح: «لا أريد أن يقال إنني لم أساعدك، ولكن إذا لم تشائي المساعدة فأنا لا أرغمك أبداً. أنا ذاهب إلى سريري. وضعت القهوة على منضدة سريرك الجانبية، أتحتاجين إلى أي شيء آخر؟».

فأجابت بحدة: «الانفراد».

قهقه ضاحكاً: «أما من كلمة شكر؟».

فكرت في كلامه. لا بأس! لعله يستحق ذلك.

وقالت: «شكراً»!

ساد صمت قصير قال بعده: «أهلاً وسهلاً».

- أنا أعني ذلك.

كان غريباً أن تقف هكذا عارية والماء يقطر منها بينما هي تتحدث إلى رجل غريب عنها تماماً يقف خلف الجانب الآخر من الباب. لكن كان عليها أن تقول: «لولاك لكنا الآن في حالة مؤسفة للغاية. نحن شاكرتان للغاية».

فقال بصوت فارقه الضحك فجأة: «نعم. نعم. حسناً، هذا حسن جداً. تصبحين على خير».

وتركها وذهب.

تركها وقد منعها الارتباك من أن تتفوّه بأيّ كلمة. أخذت تضخّ الماء، وهي مشوّشة الذهن تماماً.

لماذا له مثل هذا التأثير عليها؟ أخذ جسمها يغلي بالرغم من برودة الماء، ما جعلها تشعر وكأنه يحترق. لقد أثار هذا الرجل أعصابها ليس بسبب الغربة والعزلة فقط بل بسبب طريقة تجاوب جسدها معه، هذا التجاوب الذي جعل قلبها يخفق بقوة، وبشكل مؤلم لم تتصوره من قبل.

كان هذا غباءً حقيقياً منها فهي هنا مع كارلي وعليها أن تهتم بالطفلة أولاً، فالمسؤولية طاغية.

آخر ما تحتاجه هو أن تعقد حياتها بالانجذاب إلى راعي بقر في براري أستراليا.

والآن يكفي هذا، سأغسل شعري ثم أخرج من هنا!.

كان شعرها مليئاً بالغبار، ولم يشأ الصابون أن يصدر رغوة رغم جهودها المضنية. فبقي شعرها خشناً أشعث.

جففت جسمها وارتدت قميص رايلي الذي وصل إلى ركبتيها تقريباً. حاولت أن تسرّح شعرها بالمشط لكنها أجفلت لما شعرت به. لِمَ شعرها ليس نظيفاً؟ وتملكتها الحيرة، وذاقت الماء على كفها فوجدته مالحاً للغاية ماء غير صالح للإستعمال.

حملت مصباح الكاز الموضوع في زاوية الحمام ثم جمعت أغراضها وعادت إلى الشرفة وهي تخطو بحذر.

كان رايلي في سريره وعندما خرجت إلى الشرفة لم يتحرك فعادت تفكر في وجهه عندما رأته لأول مرة. أول شعور تملكها هو أنه مرهق، وهو يستحق الآن أن ينام فلن تزعجه. وتحوّلت لتطمئن على كارلي التي كانت نائمة هي أيضاً، فألقت بثيابها المتسخة عند قائمة السرير ثم جلست لتشرب قهوتها. تملكتها الدهشة وهي تجدها جيدة المذاق. بعدئذٍ، تجاوزت رايلي عائدة إلى المطبخ حيث مياه المطر. وتنهدت بارتياح، ثم فتحت الصنبور وأحنت رأسها تحت المياه المتدفقة..

- ما الذي تفعلينه؟

اصطدم رأسها بالصنبور حين أجفلت. وعندما استطاعت أخيراً أن ترفع رأسها، كان رايلي يشرف عليها ليقفل الصنبور بشدة. ولم تكن بحاجة إلى ذكاء بالغ لتدرك أنه غاضب، بل أكثر من غاضب. كان ثائراً.

حاولت جينا أن تتكلم... تنحنحت ثم حاولت مرة أخرى:

«ماذا... ؟ ماذا تعني؟».

أمسك رايلي بذراعيها يبعدها عن المياه ثم رفع ذقنها يرغمها على مواجهته: «أيتها السيدة. ثمة حقيقة واحدة في الحياة عليك أن تتعلميها هنا وبسرعة. وهي أن ما من شيء.. ما من شيء أثمن من ماء المطر. ماء المطر هو ما يمكننا أن نشربه. كما أن السماء لم تمطر منذ ستة أشهر بينما أنت هنا تدعينه يتدفق على شعرك ليذهب إلى الصرف الصحي. أظن أنك بدّدت لتوك مياهاً للشرب تكفي لأسبوعين».

فقالت بصوت بدا فيه الذعر: «لكن.. هل الماء لديك قليل إلى هذا الحد؟».

- نعم، إلى حد أنه يكفي أن تغسلي شعرك مرتين لتجعلي المكان هنا غير صالح للإقامة.

حدّقت جينا فيه بفزع: «أنا آسفة للغاية».

- ستكونين أكثر أسفاً بكثير إذا مت من العطش من أجل تنظيف شعرك.

ساد الصمت. وأخيراً قالت: «وماذا عن الماشية؟ كيف تعيش من دون ماء؟».

- إنها تشرب المياه المالحة فقدرتها على احتمال الملح أقوى من قدرتنا.

وخفض بصره يحدق فيها، ثم، وقبل أن تدرك نيته، انحنى ورفعها بين ذراعيه وضمها إلى صدره العاري وكأن لا وزن لها. صرخت: «ماذا؟ ماذا تفعل؟ أنزلني إلى الأرض».

قال عابساً: «أنت يا آنسة سفنسن سبيت إزعاجاً كافياً ليوم واحد».

لكنه بدا وكأنه يكتم ضحكة وهو يتابع: «لعلك من طبقة مترفة حيث يتيسّر لك كل ما تريدينه، لكن ثمة قواعد في هذا المكان عليك أن تتبعيها وإلا دفعت الثمن».

واستدار عائداً إلى الشرفة بخطوات واسعة.

كانت ساكنة متصلبة بين ذراعيه، لم يكن أمامها سوى أن تحافظ على كرامتها قدر إمكانها، ثم تستسلم.

لكن شعورها بذراعي هذا الرجل وصدره العاري . . ما الذي يحدث لها؟؟

لقد وثقت به، كما أخذت تحدث نفسها ثائرة: وثقت به وغريزتها لا تخطئ . . فهل هذا صحيح؟

استطاعت أن تسأله أخيراً عندما ركل الباب يفتحه ثم سار في المنزل المظلم بثبات: «ما الذي تفعله؟»

- أنا أفعل ما يفعله أيّ شخص إزاء الأفعال الصبيانية.

وأضاف وعلى وجهه ابتسامة خفيفة ماكرة: «أنا آخذك إلى سريرك».

بقيت صامتة بينما تابع هو طريقه بحزم. وأخيراً وصل إلى السرير حيث كانت كارلي تحتل فسحة تكاد لا تذكر. وقف رايلي ينظر إلى الطفلة النائمة في ضوء القمر ثم لوى ملامحه وهو يقول لجينا: «إنكما مزعجتان».

ثم ألقى بها في السرير بشيء من العنف ما جعلها تشعر بالخزي.

تناول منشفة من الكومة الموضوعة بجانب السرير وألقاها على رأسها وهو يقول: «لو كنت مكانك لجففت نفسي ثم آويت إلى الفراش وبقيت فيه. وإذا وجدتك تغسلين شعرك بماء المطر مرة أخرى، فسآخذك شخصياً إلى الرصيف بجانب القطار وأتركك حتى يصل القطار التالي».

ونظر إلى كارلي ثم لوى ملامحه مرة أخرى. بدا وكأنه يعاني ألماً، وتمتم: «كان عليّ أن أفعل هذا الآن، لكنني لا أستطيع طبعاً. إنما كان عليّ القيام بذلك».

وقف لحظة يحدق إلى الأسفل، لكنه عاد يحدق في جينا وكأنه يتوقع منها أن تتحداه، لكنها لم تفعل، لم تستطع. وأخذت تحدّق فيه في ضوء القمر وهي خرساء تماماً.

وابتسم هو بحسرة: «تصبحين على خير آنسة سفنسن. لا تدعي ضجيج الشارع يؤرقك».

تكلّم برقة وهو يلامس وجهها متحبباً وبشكل غير متوقع، ثم ابتعد متوجهاً إلى حيث سريره وكأنه تخلّص من حشرة. وثارت ثائرتها وهي تسمعه يضحك بصوت خافت وهو يجلس على سريره.

سواء أكانت غاضبة أم لا، فقد استمتع رايلي جاكس.

يا له من تافه!

بقيت مستلقية جامدة دقائق عدة وقد احمر وجهها للإهانة، كما جاهدت لتصرف ذهنها عن أن رايلي في سريره الذي لا يبعد عنها سوى خطوات.

جلست وجففت شعرها ثم قلبت وسادتها إلى الناحية الجافة وعادت تستلقي محوّلة وجهها إلى الناحية الأخرى حيث السماء المظلمة.

لكن الإشاحة بوجهها عنه لم تنفع. إنها حمقاء. . . ما الذي سيظنه بها؟ فمنذ أن غادرت القطار، وهي مثار سخرية. كان عليها أن تتكهن بقضية المياه.

وجاءها صوت رايلي فكادت تقفز من مكانها: «دعي ذلك. سأنساه أنا وهذا ما ستفعلينه أنت».

بدا صوته غريباً في ظلمة الليل. كانا مستلقيين في المكان نفسه وكأنهما عاشقان وقد وصلتها كلماته بالغة الرقة إلى حد ظنت معه نفسها تحلم.

همست: «أنا . . شكراً».

ومرة أخرى سمعته يقهقه بصوت خافت.

- أهلاً بك، عودي إلى النوم.

النوم؟ وكيف يمكنها أن تنام؟ واندست بين الأغطية. كانت كارلي نائمة بجانبها، غافلة عن الاضطراب البالغ الذي تعانيه أختها. ما أروع أن تكون في الخامسة من عمرها، كما أخذت جينا تفكر بمرارة، ثم

تذكرت ما عانته منذ تلك السن حتى الآن! كلا.. لن يكون الأمر رائعاً.

أمسكت بيد كارلي فالتفت أصابع الطفلة على أصابعها، تمنحها ثقتها حتى أثناء النوم. وفكرت جينا في أنها ستفعل كل ما بإمكانها لكي...

تباً لبريان.. يا للرجال! إنها لن تنام أبداً. كان الفراش والوسائد مريحة، ورغم ذلك لم تستطع أن تنام. لامس نسيم الليل جسدها المتعب مهدئاً مخاوفها، وهمست لنفسها: «لا يمكنني أن أنام هنا».

لكن الكلمات تباطأت.. ثم جمدت على شفتيها. وأغمضت عينها ونامت.

٤ - قصور من تراب

غادر عند الفجر.

كانت أعمال رايلي متراكمة وهو يتلهّف إلى الرحيلَ لكنه اتجه بشاحنته أولاً نحو محطة القطار فهما بحاجة إلى حقائبهما ولم يشأ أن يدعهما تحضرانها بنفسيهما.

خفف سرعة الشاحنة وركنها إلى الناحية الجنوبية حيث لاحظ شيئاً في الظل.

ما هو يا ترى؟

وترجّل من الشاحنة وأخذ ينظر: قصور من الرمال؟ قصور من التراب؟ ما هذا؟

إنهما جينا وكارلي.. ومن غيرهما يمكن أن يفعل هذا؟ بنتا مدينة كاملة مؤلفة من بيوت صغيرة من التراب، وشقتا طرقاً فيها. ورأى شيئاً لعله بركة، في وسط البركة ما يشبه الأغصان فتوقف ليرى.

إنه بط. بط في الصحراء! وهز رأسه بحيرة وذهول.

ظنهما جلستا على الرصيف شاعرتين بالحزن والحرمان حتى أصبح الجوّ على شيء من البرودة بما يسمح لهما بأن تحاولا السير إلى البيت. لكنه أخطأ في ظنه فجينا ليست امرأة مستسلمة، بل هي امرأة غير عادية. فليكفّ عن التفكير فيها ويهتم بشؤونه الخاصة.

وتحوّل عن البطات كارهاً. من غيرها يجلس على التراب ليصنع البط؟ يا للسخافة.

www.liromancia.com

كانت الحقيبتان لا تزالان حيث تركتاهما، تمثلان شاهدين صامتين على تهورهما في الترجّل من القطار. إحداهما حقيبة حملت اسم مصمم مشهور وهذا ما توقعه بالضبط، لكنهاحملت اسم كارلي عليها.

أما الحقيبة الأخرى فجعلت الفضول يعاوده، إذ بدت من القدم بحيث كادت تتمزق.

وضع الحقيبتين في الشاحنة ثم عاد إلى البيت محاولاً ان يكوّن صورة عما حدث.

جينا هي ابنة نيكول ريزور وتشارلز سفنسن.

كانت نيكول توصف في الصحافة بأنها نجمة الروك لكنها كبرت وانهارت وقد قالت الصحافة إنها أمضت نصف حياتها مدمنة على المخدرات.

أما تشارلز سفنسن فقد شغل الصحافة بالمقدار نفسه، لكنه وحسب معلومات رايلي، لا يزال بصحة جيدة. ثرياً ومشهوراً، وهو ماهر جداً في سباق السيارات.

ذات يوم، منذ زمن بعيد، كان والد رايلي قد اصطحبه إلى سباق، وكان تشارلز سفنسن واقفاً على منصة الفوز. فعبس والد رايلي حينذاك باشمئزاز وقال لولده: «لا يمكنني أن أصفق له. صحيح أن سفنسن سائق ممتاز لكنه ذو أخلاق سيئة ومخجلة للغاية».

حينذاك صدم الصبي ابن الثامنة. فوالده لم يعتد ذكر أحد بالسوء إلا في ما ندر.

لهذا كان قوله هذا إتهاماً فظيعاً علق في ذهنه. وكان قد غطى جدران غرفته بصور أبطال السباق، لكن صور تشارلز سفنسن غابت منذ تلك اللحظة.

وجينا هي ابنته.

مضى وقت طويل منذ كان سفنسن يقود سيارات السباق لكن سمعته السيئة مع النساء مازالت معروفة، ولم يستطع أن يتصوّر لنفسه أباً مثله.

في الحقيقة، كانت نيكول وتشارلز أبوين لا أحد يريدهما.

لكن لا بد أن جينا ثرية فخلاف هذا أمر لا يمكن تصديقه.

ستكون ليزا أخرى كما حدث نفسه وهو ينقل الحقيبتين إلى البيت. لكنه عاد ينظر إلى الحقيبة البالية، ثم فكر في البطات الصغيرة المصنوعة من الأغصان وقد عاوده الشك. وعندما وصل إلى الشرفة نظر إلى وجه جينا وهي نائمة، فازدادت شكوكه. كانت جينا تحمي أختها أثناء النوم، حتى أنها بدت شرسة تقريباً..

لكنه لن يتعرف إلى والد كارلي هذا. ولِمَ يتعرف إليه؟ لا علاقة له بهاتين الفتاتين فهما ستستقلان القطار وتبتعدان عن هذا المكان. عاد إلى المطبخ وهو لايزال مشوّش الفكر، وأخذ يبحث حتى وجد علباً عدة من عصير البرتقال فحمل إحداها وكأسين وعاد إلى غرفة النوم ثم أخذ ينظر إلى المرأة والطفلة مرة أخرى.

لا فائدة من ذلك، فهو يتعلق بها.

لا إنه لم يتعلق بها. لكنه حدث نفسه بأن يخرج من هنا الآن فاستدار خارجاً قبل أن يمنع نفسه من ذلك.

* * *

استيقظت جينا لتجد الصمت يحيط بها، فتحت عينيها وألقت نظرة شاملة على ما حولها بحذر. لم تكن حرارة النهار خانقة بعد، لكن الشمس ارتفعت في السماء. واستطاعت أن ترى، على بعد أميال، الأرض التي تصل إلى الأفق، مجدبة قاحلة في ضوء الصباح هذا.

لقد استقرت الريح، وغابت سحب الغبار التي غطت المراعي في الأمس. أغمضت عينيها بارتياح، وحركت أصابع قدميها على الملاءات النظيفة وهي تفكر بما كان ليحدث لو لم تجدا رايلي هنا.

لكنه هنا.. ولم يتحقق الكابوس.

- ألم تستيقظي بعد يا جينا؟

التفتت فرأت وجه أختها الصغير يكاد يصطدم بوجهها. كانت كارلي

تحتضنها مستمتعة بالدفء والراحة مع أختها الكبرى التي عرفتها حديثاً. لقد احتاجت جينا شهوراً لتجعل أختها الصغيرة تثق بها، لكنها أصبحت الآن جينا التي لا يمكن أن تخطئ بالنسبة إلى كارلي.

- أنا مستيقظة يا حلوتي. هس.. كيلا نجعل السيد جاكسن يستيقظ.

- لقد ذهب.

ذهب.. وحدقت من فوق رأس أختها، فوجدت سريره خالياً.. وتابعت الطفلة: «ذهب في شاحنته».

سألتها جينا عابسة: «متى؟».

- قادها بعيداً ثم عاد، لكنه عاد فرحل الآن. تصنّعت النوم، وقد وضع شيئاً بجانب سريرنا ثم وقف ينظر إلينا، لكنه لم يقل شيئاً.

يا الله.. كم كان نومها عميقاً! ودفعت عنها الغطاء ووقفت بحذر.. سواء أذهب رايلي أم لا، فهي لن تغتنم الفرصة، تفحصت أزرار القميص الذي ترتديه، ثم نظرت من حولها. كان سرير رايلي مرتباً، وملابس عمله التي وضعها على الكرسي بجانب سريره الليلة الماضية مكوّمة على الأرض. ورأت جينا حقيبتي الملابس، وفوقهما كأسان وعلبة عصير برتقال.

قالت لكارلي وقد تغيرت مشاعرها فجأة بشكل غريب: «لقد أحضر لنا ملابسنا».

يا لها من لفتة! يتوجه بشاحنته إلى محطة القطار فيحضر أمتعتهما ثم يعدّ عصير البرتقال! لكن شعورها كان.. رائعاً.

بدا لها وكأنه.. كأنه يهتم بها.

أن يهتم بها شخص ما هو شعور لم تعرفه منذ وقت طويل، هذا إذا ما حدث فعلاً. حدقت في الحقيبتين ثم شعرت بغصة في حلقها.

هتفت كارلي وهي تقفز عن السرير: «عصير برتقال!».

وفتحت العلبة وأخذت تسكب محتوياتها في الكأسين بدقة بالغة.

أخذت جينا تنظر إليها، ثم رفعت واحدة وجلست الاثنتان على السرير وأخذتا تشربان العصير. وتملكتهما الإثارة فهذه مغامرة حقاً كما أن رايلي أحضر لهما عصير برتقال. لكنها عادت وحدثت نفسها بخشونة بأن ليس لرايلي علاقة بهذا.

هذه براري أستراليا، وهما آمنتان، وبعد ثلاثة أيام ستستقلان القطار ولن تريا أموراً كهذه مرة أخرى قط، فلِمَ لا تستمتعان بوقتهما؟

لقد ماتت أمهما.

وهزّها التفكير في ذلك بعنف، وشعرت بالندم. ها هي سعيدة مرحة بينما أمهما ميتة لكن صعب عليها أن تشعر بالأسف. كان ردّ فعل كارلي على هذا الخبر صدمة وخوفاً. لكن الأمر مرتبط بالطريقة التي أبلغها بها أبوها بالخبر. كان قد مرّ على إبعاد نيكول ابنتها الصغيرة عنها ثمانية أشهر فقط.

مازالت كارلي تعتبر نيكول أمها، رغم أن كل ما عرفته من الأمومة أتى من امرأة تتقاضى أجراً.

وتملكها الأسى.

حسناً، لقد أُبعدت جينا عن أمها في مثل عمر كارلي. كان ثمة ذكريات خاطفة تمر بذهنها عن أمها أثناء إقامتها في إنكترا، لكنها ذكريات مقلقة وحتى مخيفة. عرفت أوقاتاً كانت المدرسة تقفل أبوابها أثناء العطلات فتضطر هي لأن ترافق أمها التي كانت تبدو مندفعة وهادئة وفاسدة أحياناً أخرى، لكنها غالباً ما تتجاهل ابنتها كلياً.

ولهذا، لم تشعر بالأسف على نيكول، لم تشعر بشيء.. ما عدا الحرية. فنيكول لم تعد موجودة لتعطي أوامرها مثل (على كارلي أن لا تترك المدرسة. أما بريان فلا يهتم بكارلي، وبالتالي قد تسنح الفرصة الآن للصغيرة كي تصبح سعيدة).

ابتسمت للطفلة وتعانقت العيون.

تساءلت الطفلة مرددة صدى أفكار جينا: «هل هذه مغامرة؟»

فعادت هذه تبتسم: «أظن ذلك».

ونظرت إلى صورتهما في المرآة.. الفتاة الصغيرة المشعثة الهيئة والمرأة في قميص رجالي فضفاض. صدمتها الصورتان فأخذت تضحك وهي تقول لكارلي: «انظري إلينا».

فبادلتها كارلي الضحك ثم وضعت يدها على أنفها مفكرة: «إلى أين ذهب السيد جاكسن برأيك؟».

- كان قد تحدّث عن فتح أنابيب المياه من أجل تطيعه لنرى إذا ما ترك لنا خبراً.

سارت الاثنتان في المنزل، ممسكتين بيدي بعضهما البعض وكأنهما تبحثان عن كنز. وكانت فكرة في وجود رايلي خلف البيت.. تراودهما.

لكنه لم يكن خلف البيت بل بدا المنزل مهجوراً، ووجدتا على مائدة المطبخ ورقة كتب فيها:

«لن أعود قبل ليلة الغد. اعتبرا نفسيكما في بيتكما. إذا تملككما الملل فيمكنكما أن تفعلا شيئاً بالنسبة إلى نظافة المنزل».

- ما المكتوب في الورقة؟

طرحت عليها كارلي هذا السؤال فقرأتها جينا لها، محاولة أن تبتلع خيبة أمل حمقاء تملكتها. أليس هذا حسناً؟ لم تشأ أن يكون الرجل هنا لئلا يبعث عدم الاستقرار في كيانها. وعادت بأفكارها إلى المشاعر التي ساورتها الليلة الماضية عندما رفعها بين ذراعيه، وأدركت أن عليها أن تشكر الله لرحيله قبل أن يصبح خطراً.

- ماذا سنفعل الآن؟

طرحت كارلي هذا السؤال فدهشت جينا وهي تسمع صدى خيبتها في صوت كارلي. ما هو سرّ هذا الرجل؟

استجمعت أفكارها وقالت: «أولاً، إنني سأعرفك إلى غرفة غسيل. تحيّر العقل».

واعتدلت في وقفتها، ثم حدّقت من حولها: «بعدئذ، علينا أن نقوم ببعض الأعمال المنزلية. سنجعل رايلي جاكسن يدرك أن النساء لسن عديمات النفع كما يظن، يمكننا أن نصلح هذا المكان».

نظرت كارلي من حولها: «أتعنين أننا سننظف المكان؟».

- نعم.

بدا الشك على كارلي: «هذا المكان قذر تماماً تماماً».

- نعم، المكان قذر جداً جداً، وبهذا يمكننا أن نتسلّى بتنظيفه.

- أيمكننا ذلك؟

- بكل تأكيد.

ونظرت جينا من حولها مرة أخرى محاولة ألا تنهار. ستنهار لو جلست هنا ليومين وفكرت في مستقبلها.. في كل المصاعب التي ستواجهها عند عودتها إلى العالم الخارجي.. أفضل ما يمكنها عمله هو ان تبقى مشغولة.

قالت كارلي رغم عدم الثقة التي بدت في صوتها: «أنا ماهرة في مسح الغبار».

فقالت جينا وهي تعانقها: «وأنا أيضاً، ما يجعلنا نحن الاثنتين ماهرتين في التنظيف. وبما أن الغبار كثيف، فلنبدأ في التنظيف».

* * *

لم يكن يرغب في الحضور إلى هنا.

ولِمَ يرغب في ذلك؟ الجو هنا شديد الحرارة وقطعان الماشية العجفاء صابرة تنتظر تدفق المياه مرة أخرى في الأجران المستطيلة. كان منظرها يحطم القلب، لكنه جاء في الوقت المناسب لينقذ هذه القطعان نصف الميتة، ففتح الينابيع وشحّم الآلات التي لم ترَ الزيت منذ سنوات. وهكذا عادت المياه تتدفق لكنها عادت وتوقفت.

عليه أن يكبت اللهفة لأن يترك الماشية ويعود إلى المنزل حيث زائرتاه المثيرتان للفضول، ويتابع العمل. كان الجو حاراً، والعمل

شاقاً. وبعد ان ألقى أمتعته على الرمال وألقى بنفسه فوقها. عاد واستيقظ عند الفجر وكان أول ما فكر فيه هو حال الفتاتين في منزله.

لم يكن هذا من شأنه، لكن فكرة أنهما بمفردهما لم تعجبه. ماذا لو مرضت احداهما...

حدث نفسه بخشونة أنه لا يستطع أن يفعل شيئاً بهذا الشأن، فليس لديه سوى راديو واحد وهو بحاجة إليه. فالخروج إلى البراري من دون راديو هو انتحار.

لكن إذا عمل هذا النهار وغداً، فسيتمكن بعد غد من العودة إلى البيت. وإذا عمل اليوم بكد كما فعل بالأمس، فسيخف عطش المواشي، ويتمكن هو من أن يلتقط انفاسه.

استدار وفتح الراديو. ليس ثمة ما هو أحسن من الألحان المرحة في هذه البراري.

لكن الراديو هو للاتصالات الطارئة فقط. وأخذ يبحث في المحطات فوجد إشارة من «فينيا داونز»، إنه «بيل هولمز» جاره الأقرب الذي حاول أن يتصل به. اتصل به فردّ بيل على الفور.

وهتف بيل الذي يحب الاختصار في الكلام: «جاكسن، لقد رأيتك تأخذ مؤونة من القطار يوم الخميس، فهل وجدت مسافرين ضائعين؟»

- ربما.

رد بحذر. فانفجر بيل ضاحكاً: «هذا حسن. أنت لن تقول شيئاً قبل أن تعرف غايتي. لكن هل الفتاة والطفلة بخير؟».

- همم... نعم. كيف عرفت بأمرهما؟

- كان «دوغ ستانلي» الشرطي المسؤول في المنطقة يستعلم. يبدو أن شخصاً في القطار رأى امرأة ورجلاً يتخاصمان، وكان الرجل ينهر طفلة فاستاءت المرأة. يظنون أن المرأة والطفلة غادرتا القطار عند وصوله قبل أن يلاحظ ذلك العاملون على متن القطار. لكن هناك من لاحظ ذلك، أندي أوكونيل. واتصل بي دوغ فأخبرته انني لم أر أحداً يخرج،

لكنا غادرنا قبل أن يرحل القطار. بيتك هو البيت الوحيد الذي يمكن الوصول إليه سيراً على الأقدام، فإذا لم ترهما فسيبدأون البحث عنهما.

- إنهما آمنتان عندي، وستستقلان القطار يوم الاثنين.

- هل ستخبر الشرطة؟

- سأفعل ذلك حالاً.

تردد بيل، ثم قال مكرهاً: «إنهما ابنتا مغنية «روك» سيئة السمعة، ويقول دوغ إن قصتهما ذكرت في الصحف».

فأجفل رايلي: «أتصور أن هذا ممكن».

- سيحدث صعودهما إلى القطار ضجة.

- نعم.

وتنحنح بيل: «هذا ليس من شأني على أيّ حال. أخبر الشرطة أنهما على مايرام، وأنا سأطمئن زوجتي».

- هذا حسن جداً.

ووضع الجهاز من يده ثم تلاشت ابتسامته واستند إلى الخلف في كرسيه ليستوعب الحديث الذي دار.

لقد اعترف بأن جينا وكارلي عنده وأنه مسؤول عنهما. ولم يكن يشك في أنه إذا لم يصرح بأنه المسؤول عنهما فستحضر الشرطة إلى المكان.

وتنهد ثم تناول الراديو ليتصل بالشرطة، لكي يخبرهم بأن الأمور تحت السيطرة...

* * *

بقيت جينا وكارلي تعملان طوال يومين كاملين. وأمضتا وقتاً رائعاً، في حين أن الأوقات التي كانتا تمضيانها معاً في إنكلترا، حفلت بالمشاكل.

كانت جينا، تحضر أختها إلى شقتها كلما سنحت الفرصة لكن كارلي لم تشعر بالراحة قط في شقتها، كما لم تشعر قط بأنّ علاقتها

دائمة مع أختها.

أما الآن، وفي هذا المكان الغريب، فقد شعرتا بالأمان. صحيح أن عليهما أن تستقلا القطار يوم الاثنين، لكنهما ستكونان معاً. ليس على جينا أن تذهب إلى العمل غداً، كما أنه ليس على كارلي أن تذهب إلى المدرسة، كما لا يوجد الآن أي تهديد من برايان ولن تنتظرهما نيكول في آخر الرحلة، مستعدة إما لتجاهلهما وإما لاستعمال العنف وإما للانفجار.

وبحرية كهذه، بدا تنظيف البيت أشبه بنزهة. وكلما طلبت جينا الراحة، كانت كارلي تضع يديها على وركيها وتقول: «لكن مازال هناك تراب».

قامتا بالعمل تبعاً لخطة وضعتاها.

اقفلتا غرفتي النوم مقررتين أنهما لن تتمكّنا من تنظيف البيت بأكمله. غطتا كل باب ونافذة مكسورة وحشتا كل شق كيلا ينفذ منه الغبار. ثم بدأتا بالتنظيف وأخذت جينا تمسح الغبار والتراب.

كانت جينا لتتوقّف عن التنظيف لو أن كارلي كرهت ما تفعلان، لكن الطفلة عشقته فعلاً، فهو، بالنسبة إليها، عبث ولعب.

ارتدتا الملابس التي كانتا ترتديانها في القطار، وعصبت جينا رأسيهما فبدتا اشبه بالخادمات. وكانتا تضحكان كلما رأت إحداهما الأخرى.

لم يكن يبدو عليهما أنهما ابنتا «نيكول ريزور» ولو رأتهما نيكول الآن لأغمي عليها. وخطر لجينا أن نيكول خسرت الكثير، وهي ترى كارلي تعض شفتها السفلى متأملة وهي تحاول أن تمسح أرض المطبخ جيداً.

قد يكون العيش في فندق خمسة نجوم أمراً رائعاً لفترة، لكنها ليست حياة حقيقية. عملتا طوال نهار الجمعة ونهار السبت بطوله.. وتملكتهما الحيرة عندما رأتا في النهاية المنزل يتحوّل إلى منزل آخر. لا

بد أن شخصاً ما أحبه، منذ وقت طويل وكان يفتخر به.

كان المطبخ مطلياً بلون أخضر جميل، أما ألوان الستائر فمناسبة تماماً لألوان الجدران. بدا المنزل وكأنه كنز أخفي لسنوات طويلة. أنستهما البهجة والإثارة حرارة الجوّ تقريباً. وعند نهاية يوم السبت أعادتا الأثاث إلى الداخل بعد نفضه، فبدا المنزل مرحّباً بالزوار.

وفي السادسة من مساء السبت، أعلنت جينا أنها قامت بما يكفي وذلك بعد أن تسلقت حتى السقف لتدق مسماراً في صفيحة كانت تقرقع في الهواء. كانت مرهقة للغاية وحتى كارلي بدا الإعياء الشديد عليها.

- هذا يكفي يا كارلي . حبيبتي، لقد حان الوقت لنرتاح.

تأبطت كارلي ذراعها وقالت توافقها: «هذا جميل حقاً. يسرني إصلاحك السقف».

- نعم لم يعد يحدث قرقعة الآن.

- أتظنين أن السيد جاكسن سيأتي إلى البيت اليوم؟

قالت جينا محاولة أن تبدو وكأن هذا لا يهمها: «ربما».

لكن هذا يهمها. وهذه هي المشكلة.

وصل رايلي بعد الغروب ودخل إلى المطبخ ثم جمد مكانه.

كان الوضع قد تغير إلى حد جعله يرمش بعينيه، يحاول إقناع نفسه بأنه لا يتخيّل.

أمضى اليومين الأخيرين يقود سيارته على مدى حدود أملاكه الفسيحة مجتازاً ميلاً بعد ميل من المناطق التي أدركها الجفاف، متفقداً ومصلحاً ما هو بحاجة إلى إصلاح من سدود وخزانات مياه، حتى تسرّب الغبار والصمت والرتابة إلى روحه. وفي خلفية ذهنه، كان تفكيره في بيته المهمل الذي هو بحاجة ماسة إلى إصلاح، وفي ضيفتيه اللتين جاءتا من دون دعوة وهو مسؤول عنهما بشكل ما.

كان الرعب يتملكه لوجودهما هنا.

لقد عاد إلى البيت الليلة والشعور البالغ بالذنب يتملكه لأنه قادم إلى

هنا فقط ليستحم ثم ينام قبل أن يعود إلى عمله الذي لا ينتهي.

لكن.. ما الذي وجده؟

وجد المكان قد تغير إلى حد لا يصدّق. المصباح المضاء على مائدة المطبخ يرسل شعاعاً ذهبياً ناعماً، ورائحة الخبز الطازج تعبق في المطبخ.. المطبخ الذي بدا الآن نظيفاً... جميلاً.

كيف أمكنهما أن تقوما بذلك؟

وأين هما؟

كان ثمة قهقهة ناعمة من خلف البيت. سمع صوت طفلة تضحك بسعادة، ثم صوت جينا يعلو بالرد عليها.

كانتا تغنيان أغنية من أغاني البحارة تذكرها بشكل غامض.

- (شدّ السمك... يا غبي.. شدّ).

دخل من باب غرفة الغسيل وقد تملكه السرور، كانتا هما الاثنتين هناك. وسمع صوت رشهما للماء وضحكهما وأغنيتهما المنفعلة المضحكة.

شعر وكأنه عاد إلى بيته.

واهتز لهذه الفكرة. شعوره بأنه دون بيت.. ضحكات الطفلة... جينا..

كانتا في المغسل وكانتا تضخان المياه معاً، وترددان أغاني البحارة لكي تتماشى مع إيقاع الضخ، كانتا تغنيان وتضحكان وتضخان وترشان المياه على بعضهما البعض.. وكان على رايلي أن يقف مستنداً إلى الجدار عندما تملكته موجة من المشاعر اهتز لها جسده بعنف خاف معه من الوقوع أرضاً. وارتفع صوت جينا الضاحك: «هذا يكفي. اخرجي من هنا، يا طفلة الماء... لا أدري كم بقي من مياه البئر..».

فصاح يقول: «ثمة الكثير من مياه في البئر اعبثا بالماء كما تشاءان».

ساد صمت مفاجئ داخل غرفة الغسيل عند سماع الفتاتين صوته. وإذا بصوت كارلي يهتف بابتهاج: «السيد جاكسن جاء يا جينا. عاد

السيد جاكسن. إننا نضخ المياه للاستحمام. هل تريد أن تستحم»؟

فقالت جينا بصوت غير ثابت: «على السيد جاكسن أن ينتظر حتى ننتهي».

- أما زلت لا تحتاجين مساعدة للضخ؟

وابتسم، لكن ابتسامته كانت مهتزة. لقد تملكه شعور ما... شعور لم يتملكه منذ وقت طويل، ولم يكن واثقاً من رغبته في هذا. وأجابت: «ساعدتني كارلي في الضخ».

- القانون يمنع عمل الأطفال.

قالت ضاحكة: «إياك أن تخبر كارلي بذلك».

وأعجبه هذا... كثيراً. وتبدد الشعور بالذنب الذي تملكه طوال اليومين الماضيين، وأخذ يضحك من كل قلبه وصاحت هي تقول: «سنخرج بعد دقيقة. لا توسخ بيتنا النظيف».

- ومن قال إنني سأفعل هذا.

كان ينظر إلى الشرفة ملاحظاً أنهما عملتا هنا أيضاً.

- ما الذي كنتما تقومان به.

صاحت كارلي بفخر: «كنا ننظف البيت. أنا وجينا لا نحب الغبار».

وكان تدفق المياه قد توقف.. واختنق صوتها وكأنها قد لفّت بمنشفة.

- أتأتين إلى «مرتفعات بارينيا» وأنت لا تحبين الغبار؟ قليل من الغبار لا يضر أحداً.

- إياك أن توسخ هذا المنزل، يا رايلي جاكسن. منشفتك في الخارج. كيف حال بقراتك؟

- أفضل بعد أن حصلت على بعض المياه.

وازداد شعوره بأنهما أسرة واحدة. كيف تحدث الزوجات أزواجهن؟

كانت الريح تعصف في الخارج حول البيت بنفس العويل المفجع الذي يسمعه منذ وصوله. لكن..

قال وكأنه اكتشف شيئاً: «لا اسمع طقطقة في السقف كالعادة».

قالت كارلي: «أصلحت جينا السقف. أنا أمسكت بالسلم فيما دقت هي المسامير».

كان غريباً هذا الحديث المتبادل من جانبي باب غرفة الغسيل. جينا أصلحت السقف؟ بماذا؟ طرح السؤال فردّت جينا وكأنه غبي: «بالمسامير. وجدنا بعضاً منها مع العدة. دققت سبعة وأربعين مسماراً كمادققت إبهامي مرتين».

وقالت كارلي تخبره: «قالت جينا كلمة سيئة».

وأخذت تضحك. لكنه مازال لا يصدق ما سمعه، كما لم يكن واثقاً من أنه لا يحلم: «أنا لا أصدقك».

وانفتح باب غرفة الغسيل على اتساعه لتخرج منه الفتاتان ملتفتين بالمناشف. وكان شعرهما مجدولاً ومثبتاً بالدبابيس إلى أعلى، وقد توهج وجهاهما وبدا عليهما الرضى البالغ عن نفسيهما وهما تستحقان ذلك. وسألته جينا: «ما الذي لا تصدقه؟».

- أعني.. إصلاح السقف.

- بل صدق هذا ياسيدي.

- لكنك ابنة «تشارلز سفنسن».

- نعم. كان عليه أن يتواجد للمساعدة، لكن هذا ليس من عادته. كما كان عليّ أن أستدعي عاملاً لإصلاح السطح لكنني لم أستطع العثور على رقمه فاضطررت لإصلاح السقف بنفسي. وبالمناسبة، انتبه من السلم، فقد انكسرت منه درجة وأنا أنزل عليه.

وأشارت إلى خدش طويل على ساقها مضيفة: «أتلفت ثوبي المصمم خصيصاً ما سيكلفك علبة بازيلا إضافية».

فعاد يقول: «لا أصدق هذا».

وتنهدت جينا: «لا بأس، أنا كاذبة. اصعد وانظر بنفسك إلى حيث أصلحت السقف، لكنني أعترف بأنني استدعيت فرقة لإصلاح السقف من (أديليد)».

قالت كارلي بحيرة: «لا، أنت لم تفعلي ذلك».

ابتسمت جينا: «لا لم نفعل لكن السيد جاكسن لا يحب فكرة أن امرأة أصلحت سقف بيته. ستتفهمين شعور الكبرياء عند الرجل، عندما تكبرين قليلاً».

وواجهت رايلي مردفة: «أريد منك شيئاً قد يبدو غير مقبول يا سيد جاكسن. عليّ أن أطردك من غرفتك، لكي نستطيع أن نرتدي ملابسنا».

- معك حق.

وانسحب، وماذا يستطيع الرجل أن يفعل غير هذا؟

www.elromancia.com

٥ - حقائق تتكشّف

إنه بحاجة إلى شراب منعش، لكنه لم يحضر واحداً، وبدلاً من ذلك أخذ يطوف في ارجاء المنزل.

كل شق في المنزل أقفل منعاً لدخول الغبار كما غطيت النوافذ المكسورة بألواح خشبية. وغسلت النوافذ الباقية ما جعل ضوء القمر يتسلل منها.

أضاء أحد الفوانيس المغسولة في غرفة الجلوس ثم نظر من حوله إلى التغيير الذي حدث. كانت الأريكة الكبيرة والكراسي المناسبة لها نظيفة تغري بالجلوس. لكنه لم يجلس، فهو مغطى بالغبار.

وعندما سمع صياحاً من الشرفة يقول إن الحمام غير مشغول أسرع إلى غرفة الغسيل.

بدأ يشعر بالغربة فالشعور بأن هذا بيته لم يعد طبيعياً.

اغتسل وارتدى سروالاً وهم بأن يتوجه إلى المطبخ.. وإذا به يتردد، ثم يتناول قميصاً فيلبسه.

عندما دخل إلى المطبخ، سرّه ما فعل إذ بدت الفتاتان جميلتين وهما ترتديان ملابسهما. بدت كارلي ظريفة للغاية في ثوبها الأصفر المزين بحزام أبيض، بينما ارتدت جينا...

هل كانت ترتدي ثوباً مكشوفاً بالغ الجمال؟ كلا...

وفجأة شعر بجفاف بالغ في حلقه، لم يكن ثوباً جميلاً بل بسيطاً ذا لون أخضر باهت بفتحة عنق منخفضة. كان الثوب يلتصق بجسدها حتى

خصرها ثم يتسع تدريجياً حول وركيها ليصل إلى ما فوق ركبتيها. إنه من النوع الذي تجده في أي متجر، لكنها بدت فيه..

كيف بدت فيه؟ مازال شعرها مجدولاً ومرفوعاً على قمة رأسها. لعلها رأت أن هذه هي الطريقة الوحيدة لتصفيفه حين لا يكون بإمكانها غسله. لم تكن تضع أيّ زينة على وجهها، وقد انتعلت حذاءً خفيفاً.

كانت مختلفة عن كل النساء اللاتي عرفهن في حياته.. وهذا ما جعلها تخطف انفاسه.

طرحت كارلي السؤال، وقد بدا القلق في صوتها: «أتظننا نبدو جميلتين»؟

رفعت جينا عينيها عن الإناء الذي تحرك محتوياته وعندما رأته واقفاً عند العتبة، ابتسمت فانحبست أنفاسه مرة أخرى، بينما قالت هي: «يجدنا كذلك، بالتأكيد. فنحن في ملابس الاحتفال يا سيد جاكسن».

الحمد لله أنه ارتدى قميصاً. وأجاب: «ماذا؟ احتفال؟».

- إنها حفلة عيد مولد كارلي الخامس وثلاثة أرباع.

- أصحيح هذا؟

- نعم. وجدنا بعض الشموع ما جعلنا نفكر في أعياد الميلاد. كانت كارلي في المدرسة يوم عيدها الخامس فلم نستطع الاجتماع معاً ما جعلها تشعر بالتعاسة. وهكذا فكرنا.. حسناً، إن عيد مولدها في العاشر من حزيران، ونحن الآن في العاشر من آذار، ما يعني أن اليوم هو عيد مولدها الخامس وثلاثة أرباع.

كانت عيناها ترسلان رسالة صامتة، ولم يحتج هو إليها فقد قرأ الرسالة في عيني كارلي.

وقال باسماً: «هذا حسن، حسن جداً. إذن، فقد عدت إلى البيت في الوقت المناسب لحضور عيد الميلاد».

قالت كارلي: «لقد قدمت لي جينا هدية».

وفتحت يدها ليرى صابونة صغيرة جداً من النوع الذي تجده في

فندق رخيص، ثم أضافت ضاحكة: «إنها صابونة طفلة برائحة الورد، أردت أن أستعملها في الحمام لكن جينا قالت لي ألّا أبدّدها على مياهك السيئة هنا».

وغضنت أنفها مشمئزة، لكنها قالت فجأة وهي تنظر إليه بقلق: «هذه قلة أدب مني، وأنا آسفة. لم أشأ أن أكون قليلة الأدب. لقد حضّرت لنا جينا (كعكة)».

- كعكة؟ هذا رائع.

وجلس باحتراس وهو يرى جينا تحمل وعاء الطعام.

كانت رائحتها جذابة للغاية، وسألها: «ما هذا الطعام؟».

فأجابت: «اسمه «مفاجأة جينا». أثنا تنظيف الخزائن وجدنا مزيداً من العلب. إنه خليط من كل أطعمة العلب. إنه خليط من كافة المعلبات، وهو طعام لا تتذوقه سوى مرة واحدة في الحياة».

- أراهن على ذلك.

فقالت كارلي: «كما وجدنا طحينا وكاكاواً وسكراً فحضّرنا ما يشبه كعكة بالشوكولا».

فقالت جينا: «إنها أشبه بمسحوق الشوكولا منها بالكعكة. لكنها شيء يجعلنا نُشعل الشموع».

- الشموع؟

- سبق وأخبرتك أننا وجدنا شموعاً في الدرج السفلي ما جعلنا نتذكر أنه عيد ميلادي الخامس وثلاثة أرباع. هل تريد أن ترى؟

ونهضت وسارت إلى الثلاجة وفتحتها ليرى الكعكة تقف بكل جلالها. بدت كما قالت جينا، أشبه بمسحوق شوكولا.

فابتسم وقال: «لقد فهمت. هذا عمل جيد منكما».

وقال لجينا باسماً: «شكراً لك يا جينا على الطعام».

فبادلته الابتسام... أوه ه ه.. ما الذي يحدث هنا؟.

كانت تبتسم فقط.. ولكن أي ابتسامة

نهض ليحضر العصير وبسرعة، ليس لأنه يحتاجه بل لأنه أراد أن يحطم ما يجري بينهما، لكن هذا أمر غبي. فنمط هذه المرأة يختلف تماماً عن حياته. وهي ستمضي هنا ليلتين أخريين ثم ترحل. لذا، ما كان لها أن تبتسم له بهذا الشكل.

استغرق إحضاره للعصير وقتاً طويلاً. وعندما عاد إلى المائدة، تمالك نفسه مرة أخرى.

تقريباً... لكن تقريباً لم تكن كافية!

* * *

لقد سبب لها القلق.

ألا يكفيها ما لديها حتى تضيف رايلي إلى القائمة؟ جلس أمامها ثم تناول الطعام الذي طهته بشهية بالغة. لكن كل حركة قام بها أنبأت بإرهاق لا يمكن وصفه.

ملأ المكان بوجوده. كانت ابتسامته جذابة للغاية وظرفه مع كارلي رائعاً. إنه من الرجال الذين ينبغي أن يعيشوا في بيت مريح مع زوجة وأولاد يحبونه.

لقد صدمها مظهر وجهه، وحين رأته يخرج من الحمام كادت تهتف فزعاً. كان وجهه أغبر تقريباً من الإرهاق كما بدت عيناه حمراوين متعبتين. هل عمل طوال اليومين الماضيين وحده؟

كان عليه أن يرقد في سريره الآن، لكنها استطاعت أن تطعمه على الأقل. وبدا كأنه استمتع بكل لقمة.

قالت له: «يوجد المزيد من الطعام على الموقد».

نظر إليها وضحك، فتسارعت خفقات قلبها. وأجاب: «هذا المزيد لن يبقى طويلاً».

- ألا تأكل عندما تكون في العمل؟

- إن كان لدي علب البازلاء.

- ماذا؟ هل عشت على البازلاء طوال اليومين الماضيين؟ لكن لماذا

تفعل هذا؟

- ثمة عمل عليّ أن أقوم به وما من شخص غيري ليفعل ذلك.

لم تفهم. لا بدّ أن هذا الرجل يكسب المال، وإلا من أين جاءت الطائرة؟

وسألته بتردد: «هل الطائرة لك؟».

نظر إليها بدهشة: «نعم، ياسيدتي».

- لماذا إذن لاتبيعها وتسكن في مكان ما قريب من الحضارة؟

- هذه حضارة.

وابتسم رغم أنه كان من الإرهاق بحيث أصبحت ابتسامته جانبية قليلاً، ثم أشار إلى أنحاء الغرفة وهو يقول: «في الواقع.. هذه متحضرة إلى حد محيّر. كيف فعلت ذلك؟ كيف منعت الغبار من الدخول؟».

- الصحف. كثير من الصحف.

- صحف؟؟

- هذا كل ما استطعنا أن نجده. إذا شئت أن تمنع الغبار من التسرب، بشكل دائم، فعليك أن تقوم ببعض أعمال النجارة. استعملنا الصحف لكي ندسّها في الشقوق، وأخذنا ألواحاً خشبيه من أحد السقوف المنهارة ووضعناه على النوافذ المحطمة. أرجو أن تكون قد قرأت أخبار الأسبوع الماضي، وإلّا فستضطر لأن تدور حول البيت من صفحة إلى صفحة.

استطاع أن يبتسم مرة أخرى لكن الذهول بقي بادياً عليه، وقال: «لم يكن ثمة الكثير في الصحف».

ساد صمت طويل ركز اثناءه على الطعام ثم عاد يحدق فيها، ثم في كارلي التي كانت تلهو بالشوكة. وعاد ينظر إلى جينا: «لا أستطيع أن أصدق أنكما قمتما بكل هذا العمل المتعب».

- لكنني أستطيع أن أصدق أنك انهكت نفسك في العمل.

ليس عليها أن تقلق لأجله، لكنها شعرت بالقلق، إذ بدا منهكاً للغاية.

- لكنني لست ابن «نيكول ريزور».

جمدت في مكانها. إنها الأحكام المسبقة التي تتعبها دوماً.

- ما الذي يُفترض أن يعنيه هذا؟

- والداك هما «نيكول ريزور» و«تشارلز سفينسن» ما يعني مالاً كثيراً. وهذا يجعلني لا أصدق أنك احتجت يوماً ما للعمل.

وقالت بحدة: «لكنني أعمل».

- لست بحاجة إلى ذلك.

- بل أنا بحاجة. وإلا فكيف أعيش من دون عمل؟

- لكنك غنية. قلت إنك ستدفعين لقاء نقلك بالطائرة إلى «أديليد».

- كنت يائسة. وكنت مستعدة لأن أستدين من المصرف ثم أمضي سنوات في سداد هذا الدين.

- لا أصدق.

فقالت بحدة: «أنت دوماً لا تصدقني».

ونهضت ثم حملت الصحون إلى حوض الغسيل وتابعت هي تدير له ظهرها: «وهذا سيصبح عادة لديك».

- إذا كان والدك لا يعيلك، فماذا تعملين لتعيشي؟

- هل هذا من شأنك؟

- لا، ولكن..

- كيف تنفق على هذا البيت؟ هل لديك حقل «ماريجوانا» تنفق منه؟

فأجاب ضاحكاً: «بالتأكيد، حقول ماريجوانا شاسعة».

- إذن، أنت لن تخبرني، فلِمَ تريدني أن أخبرك عن مصدر معيشتي؟

وتطوعت كارلي لتقول: «جينا ممرضة».

ساد صمت قصير قال بعده: «شكراً يا كارلي. أي نوع من التمريض؟».

- إنها تساعد الجراحين عند إجرائهم العمليات الجراحية. إنها تعمل كثيراً. وهي ترغب دوماً في أن تراني لكنها لا تستطيع لأن الطريق طويلة وهي لا تحصل على أي يوم إجازة؟

- وأين تسكن جينا؟

التفتت جينا إليه تواجهه: «كفى يا جاكسن. هذا ليس من شأنك».

لكن الحديث بقي مستمراً: «جينا تعيش في غرفة صغيرة حلوة للغاية، ونافذتها تشرف على السطوح والمداخن. لديها سرير عليه وسائد أرجوانية اللون، خطناها معاً. أريكتها قريبة من السرير وأنا أنام عليها. إنها مريحة حقاً وأنا أحب أن أكون بجانب جينا».

أصبح صوتها متمرداً فجأة، والنظرة التي ألقتها على رايلي كانت تعني انه ربما يشكل مصدر تهديد.

- أتحبين الذهاب إلى هناك؟

- السيدة في المدرسة لاتنفك تطرح عليّ هذا السؤال. نيكول تقول إن عليّ أن أمكث في المدرسة على الدوام لكن السيدة في المدرسة تطرح عليّ كثيراً من الأسئلة ثم قالت إنها لا ترى حاجة لأن أطلب من نيكول الإذن مادامت جينا أختي.

تحولت عينا رايلي إلى جينا: «إذن، لا يُفترض بك أن تأخذي كارلي».

فأجابت بحدة: «بل يمكنني ذلك طبعاً».

لكن القلق تملكها. إنه يكتشف أموراً كثيرة عنها مما لا يسرّ. عليها أن تقفل فم كيرلي، لكن سماع الفتاة تتحدث أمر ممتع. وقالت تذكرهما: «الدينا كعكة علينا أن نأكلها. هل لك أن تشعل الشموع، يا سيد جاكسن؟».

ألقى عليها نظرة مشككة وأراد أن يطرح مزيداً من الأسئلة لكن الكعكة كانت تنتظر. أطفأ المصباح وأصبح ضوء الشموع الكبيرة على الكعكة هو الوحيد في المكان

وقالت جينا آمرة: «والآن فلنغني».

وتملكتها الدهشة وهي ترى رايلي يقف ويغني. كان صوته جميلاً، عميقاً دافئاً رناناً. وابتسم لكارلي عندما أخذ يغني فوجدت جينا صعوبة في الاستمرار في الغناء.

ما مشكلة هذا الرجل؟

أطفأت كارلي شموعها فيما قالت لها جينا: «كل نفخة زائدة تعني أن لديك صديقاً».

ضحكت كارلي في الظلمة وهي تراقب آخر شعاع يتوارى في الظلمة، وقالت: «يا للغباء! الفتى الوحيد هنا هو السيد جاكسن وهو كبير جداً عليّ ويمكنه أن يكون صديقك».

احمر وجه جينا وتقدمت تتحسس طريقها نحو القنديل في الظلمة، لكن رايلي سبقها فوصلا إلى القنديل في الوقت نفسه وتلامست يداهما. وبقيتا متلامستين.

قال بصوت يرتجف قليلاً: «سأشعل القنديل»

وبشكل ما، استطاعت أن تتراجع فيما عاد الضوء وعادت الغرفة إلى طبيعتها تقريباً.

كانت كارلي تبتسم وكأنما مُنحت العالم: «هذا أجمل عيد ميلاد لي».

قال رايلي باسماً وهو يغادر الغرفة: «الديّ هدية لك».

نادته كارلي: «جينا تقول إنك لن تستطيع إحضار هدية لي لعدم وجود متاجر».

كانت جينا تتكئ على المغسلة محاولة أن تتمالك نفسها. فيما ردّ هو عليها من بعيد: «لست بحاجة للذهاب إلى أيّ متجر».

ابتدأت الإثارة تبدو على كارلي وسألت جينا: «ما هي الهدية برأيك؟».

أجابتها ساخرة: «ربما سيحضر لك بقرة. لكن لا نستطيع أن نضع

البقرة في حقيبة سفرنا عندما نعود إلى بيتنا».

وابتسمت ونادت: «كارلي تقول إنها لا تريد بقرة».

نظرت جينا إلى كارلي فرأت وجهها يشرق بالبهجة. إنها تدرك بالضبط شعور كارلي في هذه اللحظة. وتمنّت لو تستطيع أن توفّر لها طفولة سعيدة..

تعالى الطرق على باب الغرفة، ثم ارتفع صوت رايلي ينادي: «لدي مشكلة في تغليف الهدية. يبدو أن الصحف هنا قليلة فهل يمكنني ان أسحب بعض الصحف من الشقوق».

- افعل هذا وتجد نفسك ميتاً.

وساد الصمت ثم عاد يقول: «لا بأس. الحاجة أم الاختراع. أغمضي عينيك يا كارلي».

أغمضت كارلي عينيها فتغضن أنفها. بدت اللهفة عليها، وكانت جينا قد ابتدأت تشعر باللهفة نفسها.

ماذا سيقدم لها رايلي؟

عاد رايلي إلى الغرفة ويداه خلف ظهره. ونظر إلى عيني كارلي المغمضتين بشدة وابتسم ابتسامة عريضة ثم نظر إليها فانحبست انفاسها توتراً.

لتركز اهتمامها على كارلي! ويبدو أن رايلي قرر أن هذا هو الأفضل.

سألها بابتسامة عريضة: «هل عيناك مغمضتان حقاً؟».

أومأت كارلي برأسها بشدة؟ لكنه انتظر مستمتعاً فترة ثم قال لها: «افتحي عينيك».

فتحت كارلي عينيها ونظرت. كان رايلي يمسك شيئاً طويلاً أسود، مهترئاً قليلاً عند طرفه.

- هذه فردة جورب.

اتسعت ابتسامة رايلي: «أصبت يا آنسة كارلي. إنها فردة جورب،

خذيها إنها لك. ثمة شيء في الداخل».

نظرت كارلي إلى جينا وكأنها تطلب نصيحة، فابتسمت جينا وقالت: «احبسي أنفاسك يا كارلي بسبب رائحة جوارب الرجال».

فقال وكأنها جرحته بالصميم: «هذه إهانة وتشكيك في نزاهة «ماغي».

- لا سمح الله.

ابتسم لها ابتسامة رقيقة ضاحكة ما جعل قلبها يلتوي مرة أخرى. تقدم إلى الأمام والقى بفردة الجورب في حضن كارلي، ثم عاد فتراجع إلى الخلف. قال لها: «عيد مولد سعيد».

أخذت كارلي تتحسس الجوارب بحذر: «أشعر وكأن فيها صخرة».

- أنت ماهرة للغاية. ولكن أي نوع من الصخور؟

صخرة؟ وتملك جينا الحيرة.

وتابع يقول لكارلي: «أخرجي ما بداخل الجورب».

ففعلت كارلي بحذر وكأن في الجورب عقرباً.

كانت صخرة رمادية ناعمة يعلوها الغبار وكأنها أُخرجت لتوها من تحت التراب. وضعتها كارلي على المنضدة وأخذت تنظر إليها بحيرة: «ما هذا؟».

سألها رايلي برقة: «ماذا ترين؟».

بدا عليها الارتباك ثم قطّبت جبينها وركّزت فيما مالت جينا إلى الأمام لترى.

- ما الذي ترينه؟

طرح رايلي هذا السؤال على كارلي فلمست الطفلة الصخرة بحذر: «إنها أشبه.. بقنديل البحر؟».

فابتسم مسروراً: «بالضبط. والآن اقلبيها».

قلبتها لتجد على الجانب الآخر صدفة مثبّتة في عمق الصخرة بشكل جميل للغاية. وقالت متسائلة بعجب: «إنها صدفة».

- ليست صدفة وحسب بل صدفة عجيبة وغير عادية. وقنديل بحر غريب محيّر.

وأخذ ينظر إلى إصبعها وهو يمرّ على الصدفة بعجب، ثم قال:

- كارلي! أتذكرين التراب الذي سرت عليه يوم الخميس عندما نزلت من القطار؟.

- نعم.

- منذ مليون سنة، كان هذا التراب رمالاً في قاع محيط عميق للغاية. قنديل البحر هذا وهذه الحلزونة الصغيرة، كانا في قاع المحيط حيث تجلسين الآن. وعصر هذا اليوم وفيما كنت أحفر لأمدّ أنبوباً لأسقي ماشيتي، برزت هذه الصخرة من تحت الأرض. يبدو أنها انتظرت مليون عاماً هذه المناسبة الخاصة بالذات، مناسبة عيد ميلادك.

رمشت جينا بعينيها، فيما راحت كارلي تحدّق في رايلي بعينين متألقتين كنجمتين: «والآن، أصبحت هذه ملكاً لي؟».

- إنها لك تتصرفين بها كما تشائين. إذا شئت، يمكنك عندما تذهبين إلى المدينة أن تاخذيها معك إلى المتحف لتساليهم عن عمرها بالضبط. وإذا كانت فريدة من نوعها فسيسألونك عما إذا بإمكانهم أن يستعيروها ثم يضعونها في صندوق زجاجي ليستطيع الكل رؤية صخرتك هذه. سيضعون ملاحظة عند أسفل الصندوق تقول إنّ الصخرة ملكك. إن قنديل البحر وحلزونتك..

فالتفتت كارلي إلى جينا ووجهها يتوهج: «قنديل البحر وحلزونتي».

- نعم.

كانت نبرات صوت جينا غير طبيعية، بينما تابعت كارلي: «إنها جميلة. إنها أحسن هدية عيد ميلاد في العالم».

٦ - لِمَ عادت الحياة كئيبة؟

لم تكن الكعكة لذيذة لكن كارلي التهمتها وكذلك فعل رايلي. وبعد أن هدأت الإثارة، تملك كارلي النعاس فحملتها جينا إلى السرير بينما أخذ رايلي يغسل الأواني.

عادت إلى المطبخ فيما هو يرتّب الأواني المغسولة على الرفوف وكأنه لا يصدق أنها نظيفة.

وقفت لحظة عند عتبة الباب تراقبه. كان طويل القامة، قد ملأت رجولته المكان.

استدار فرآها تراقبه، ما جعلها تحمر خجلاً.

سألها: «ماذا؟»

ترددت تبحث عن جواب، ثم قالت باسمة: «أحب أن أرى رجلاً يقوم بالأعمال المنزلية».

- أنا رجل يحب الحياة العائلية.

إنها لا تعرف عنه شيئاً. إنها في بيته، وهو يقدّم لهما الطعام والضيافة ويتصرف مع أختها بشكل رائع فيما هي لا تعرف عنه شيئاً على الإطلاق.

سألته: «أين «ماغي؟».

- في «ماينيرينغ».

- وأين «ماينيرينغ»؟.

- تبعد من هنا حوالى خمسمئة ميل.

- أنت وماغي بعيدان عن بعضكما إذن.
- إنه القرب الذي أريده من أي امرأة تقريباً.
بدا عليه وكأنه لا يعلم لما قال لها ماقاله، فأضاف متداركاً: «أعني.. إننا منسجمان تماماً».
- لكنها ليست زوجتك.
- لا.
- وحتماً أنت لست متزوجاً.
- لا.
- هل تزوجت من قبل؟
- مامعنى هذا؟
فقالت: «لقد عرفت عني الكثير بينما أنا لا أعرف عنك شيئاً. هل تزوجت من قبل؟».
- مرة واحدة. ولم ينجح زواجنا.
- هل أنجبتما أولاداً.
- لا.
- هل لديك أصدقاء؟
- لا.
وجمد مكانه فتلاقت أعينهما عبر الغرفة، فيما قالت برقة:
- ما من أصدقاء، باستثناء كارلي وهي صديقتك الوفية مدى الحياة. ذهبت لتنام متشبثة بصدفتها المتحجرة كالأطفال الآخرين الذين يذهبون إلى السرير متشبثين بألعابهم.
- لِمَ ليس لدى كارلي ألعاب؟
- لا بد أن أمها أضاعتها أو أعطتها لأحد أو لعلها خلّفتها في غرف الفنادق لضيقها بها. عندما افترقتا هي وبرايان، رمت كل ما جلبه بالتأكيد. لقد تعلمت منذ كنت طفلة، ألّا أظهر حب أو تعلق بأيّ من ألعابي. إذا كانت اللعبة من أبي، فأمي ستتلفها، والعكس بالعكس. في

النهاية، كان أسهل عليّ ألّا أتعلق عاطفياً بأي شيء على الإطلاق.
- وهكذا لم يكن لديك شيء؟
- لقد تجاوزت هذا. إننا نتحدث الآن عن كارلي.
- كيف يمكنك القول إنك تجاوزته؟ نحن لا نتجاوز الماضي.
- يا له من كلام يصدر عن شخص يعيش من دون أصدقاء. لا استطيع أن أصدق أن ليس لديك أصدقاء. إنه تصريح جنوني.
- أنا لا أعيش في مكان تسهل فيه الحياة الاجتماعية.
- لكنك لا تعيش هنا، أليس كذلك؟ أعني ليس طوال الوقت. هذا مكان تأتي إليه للعمل.
- مقرّي الأساسي معزول مثله بالضبط.
- لكنه ليس بمثل هذه القذارة.
فقال بابتسامة خفيفة: «لا. لقد قمت بعمل جيد حقاً».
- كان ذلك مصدر سرور.
- لم أعرف امرأة قط تعتبر هذا مصدر سرور.
هزت كتفيها قائلة: «أنت تعيش في بيئة غير مناسبة».
- على عكسك أنت. أنت ابنة نجمة غناء وسائق سيارات سباق.
- علاقتي بهما مقطوعة، وأصدقائي يختلفون عن أصدقائهما. غالبية أصدقائي من الممرضات اللواتي يعرفن مقدار مشقة هذا العمل، لكننا نعلم أيضاً كم يجلب السرور.
كان يحملق فيها وكأنه لا يفهم: «هل أنت ممرضة حقاً؟».
- نعم أنا ممرضة.
- كيف يُعقل أن تكون ابنة تشارلز سفنسن ممرضة؟
- لا أظنك تفهم شيئاً عني.
- هذا صحيح. أنا لا أفهم فاخبريني.
ترك الحوض وجلس وهو يشير إلى الكرسي أمامه: «أنا لا أفهم.. أخبريني».

ترددت لكنها جلست وهي تقول: «أنت متعب. لا أراك ترغب في الإصغاء إلى قصة حياتي بينما عليك الذهاب إلى السرير».

فقال بابتسامته الرائعة: «أنا متعب، لكنني أريد حكاية قبل النوم».

وفجأة امتدت يده وأمسكت بيدها، قوية واثقة مرغمة وهو يتابع: «أريد أن أعرف».

- لا أدري لماذا.

وحاولت جذب يدها من يده لكن عبثاً، وقال: «ولا أنا. لكن أخبريني. أخبريني عن أبويك».

- أنا لا... أنا لا أعرف أبوي. لم أعرفهما قط.

- لِمَ لم تعرفيهما؟

تلعثمت. كيف لها أن تصف العلاقة، أو عدم وجود علاقة؟ كيف تخبر أي شخص؟ لكنها شعرت بيده دافئة قوية، وقد منح كارلي هدية كانت تعلم أن الصغيرة ستحتفظ بها إلى الأبد.

إنها مدينة له بالحقيقة. قالت: «نيكول أنجبتني، وهذا كل ما في الأمر».

ضغط على يدها. إنها تحب هذا لكنه لا يعني شيئاً.

- وأبوك؟

- اعترف أبي بأبوّته لي وهذا كل ما في الأمر. كنت أنا الصلة الوحيدة بينهما وكانا يكرهان بعضهما بعضاً. وضعاني في مدرسة داخلية عندما كنت أصغر من كارلي ثم تشاجرا بسبب التكاليف... ومن يتحمّل مسؤوليتي أثناء العطلات المدرسية، ومن عليه أن يدفع أجر الفنادق.

- أجر الفنادق؟؟

- لا أراك تظن أنهما سيرعياني بنفسيهما، أليس كذلك؟

- لا أظن ذلك.

هزت كتفيها: «لم أكن أكره الفنادق كثيراً. لكن المدرسة.. كانت

المدرسة تطلب أن يخرجني أهلي منها لأنهما لا يدفعان التكاليف. وكان الأولاد يعاملونني بالسوء لأن أبويّ الشهيرين لم يأتيا قط لرؤيتي وعندما أصبحت في الرابعة عشرة، أرسلت المدرسة رسالة إلى أبويّ طالبة منهما أن يأتيا لأخذي».

ترددت، ثم قررت أن تواصل حديثها إلى النهاية: «وهكذا زوّرت رسالة بلسان أمي وأخبرت المسؤولين في المدرسة أن علي أن أستقل القطار لأوافي أمي في لندن».

قطب حاجبيه وبقي ممسكاً بيدها: «لِمَ كذبت؟».

قالت وقد بدا غضبها القديم في صوتها: «كل فتاة في المدرسة كانت تعلم أن كلفة دراستي لم تُدفع قط وكرهت ذلك. أظنني... كرهت الكل حينذاك. على أيّ حال، ركبت القطار إلى لندن وحاولت العثور على عمل. عشت أشهراً عدة كيفما اتفق حتى عثر علي صحافي يعمل في صحيفة شعبية».

راح رايلي يعبث بأصابعها وسألها: «كيف عثر عليك؟».

أجفلت للرقة التي لمستها في صوته: «إياك أن تجرؤ على الشعور بالأسى لأجلي».

لوى شفتيه بنصف ابتسامة: «لن أجرؤ».

- كنت بأحسن حال. كنت أغسل الصحون والأواني في مطعم صيني صغير حيث لا يطرح أحد الأسئلة، وحيث يدفعون أجري نقداً. لم يفتقدني أي من أبويّ وكان هذا يناسبني. لكنني كنت من الغباء بحيث أخبرت أحد الشباب عن نفسي فأخبر الصحف بما تفعله ابنة المغنية نيكول ريزور لتحصيل معيشتها. وضجّت الصحف بالخبر.

نظرت إليه بارتياب لكن وجهه كان مجرداً من أي تعبير. هذا ما أرادته منه ويبدو أنه لاحظ ذلك.

- وماذا حدث بعد ذلك؟

- شعر والداي بالإهانة طبعاً، لأن ابنتهما تعيش كفتيات الشوارع.

لكنهما لم يشعرا بالإهانة قدر شعوري أنا بها. لقد جرني أحد موظفي أبي إلى المدرسة. واتصل بي وكيل أمي وأخبرني بأن عليّ أن أخجل من نفسي وأن أحتمل رفيقاتي في المدرسة اللاتي قرأن قصتي في الصحف. لابأس، يمكنك أن تشعر بقليل من الأسى لأجلي الآن، إذا شئت.

وابتسمت ابتسامة خفيفة فبادلها ابتسامتها: «كم عليّ أن أشعر بالأسى لأجلك؟».

- قليل جداً. أنا لست بحاجة إلى ذلك، ولم أكن حينذاك.

- لِمَ لا؟

ضحكت: «منذ ذلك الحين تحسّنت ظروفي فقد تعلمت بعض أساليب أبناء الشوارع ما جعل المستبدات في المدرسة يتركنني وشأني».

فقال بإعجاب مفاجئ: «أي امرأة تستطيع أن تصلح سقف بيتي، لا بد أن تهزم عدداً من المستبدات في مدرستها».

قالت وقد اتسعت ابتسامتها: «وقد فعلت هذا».

كان لدى هذا الرجل المقدرة على إنعاش نفسيتها.. إنعاش.. حياتها.

- وماذا حدث بعد ذلك؟

أرغمت نفسها على أن تتذكر أين أصبحت في قصتها الصغيرة، ثم قالت: «بقيت في المدرسة إلى أن أصبحت في سن تسمح لي بأن أدرس التمريض. لم أتحدث عن أبويّ، كما لم يتحدثا عني أو معي بعد ذلك على الإطلاق. أنهيت دراسة التمريض من دون أن أطلب أو أتلقى أي عون منهما، هذه هي قصتي. ولو أنني لم أعلم من الصحف أن لي أختاً هي كارلي، لما اتصلت بهما منذ ذلك الحين».

وساد الصمت. رأت جينا أنها تكلمت طويلاً، فجمدت مكانها ويدها لا تزال في يده. نادراً ما كانت تتحدث عن نفسها. عندما كانت في الرابعة عشر من عمرها، أخبرت شخصاً بقصة نشأتها، وكانت تظن

ذلك الشخص صديقاً لكنه باع قصتها بالمال، فتعلّمت درساً قاسياً.

يمكن لرايلي أن يبيع هذه القصة هو أيضاً، وسترحب الصحف الشعبية بذلك، لا سيّما أن موت نيكول لم يمض عليه سوى أيام قليلة.

نظرت إليه عبر المائدة، مستوعبة حقيقة أنه ما زال يمسك بيدها.

- أنا.. أنت لن تخبر أحداً..؟ هذا شأني الخاص...

- أتظنين حقاً أنني سأخونك؟

طرفت بعينيها. كان رايلي يحملق فيها وكأنه لا يصدق ما يرى، لكن التعبير الذي بدا على وجهه.. يمكنها أن تثق بهذا الرجل. إنها واثقة من ذلك.

قال ببطء: «أنت تعيشين وحيدة الآن».

هزت رأسها نفياً: «لا، أنا في السادسة والعشرين من عمري. لدي مهنة ولدي أصدقاء. لم أعد وحيدة في حياتي. كارلي هي الوحيدة إلى حد ميئوس منه. أمها ماتت، لكن برايان لا يزال مسؤولاً عن كارلي قانونياً، لا أدري ما الذي سيحدث لها الآن».

كانت عيناه في عينيها تتساءلان. أتراهما تتلقيان أجوبة؟

ربما! يمكن لهذا الرجل أن يرى أعماقها. وكلما أطالت النظر إليه، كلما أصبحت مكشوفة.

كان لا يزال ممسكاً بيدها عندما قال برقة: «ستحاولين طبعاً إبقاءها معك».

- نعم.

- ومن سيدفع تكاليف معيشتها؟

كانت قد أخبرته بكل شيء، وها هو يتجاوز الحدود فثار غضبها فجأة: «هذا يكفي».

أدهشها غضبها بقدر ما أدهشه. لكنها وجدته سبيلاً للتملص من الجواب! في الواقع لم تجد جواباً على سؤاله. ونزعت يدها من يده وحملقت فيه عبر المائدة وإذا بها ترى الذهول يكسو وجهه: «لن أرغمك على الحديث. إذا لم ترغبي في ذلك، فهذا من شأنك».

لعلها بالغت في تصرفها، وابتسمت له بأسف لكنها أبقت يدها بجانبها على المائدة وهي تقول: «آسفة، لكنني لم أتعوّد أن يوجه الناس إليّ اسئلة عندما لا يريدون شيئاً مني».

- أنا لا أريد شيئاً منك.

- أعرف هذا.

- أنت تعيشين وحيدة حقاً.

على الرغم من ندمها على تصرفها، بقي الغضب يتملكها، لكنها حاولت أن تتغلب عليه: «تعلمت أن الوحدة هي الأفضل وقد اعتدت عليها. لكن كارلي أصبحت معي الآن، وبالتالي تغير عالمي. ثم، علي أن اجد طريقة تبقيها آمنة، إذا ما ورثت مالاً..».

- لكن برايان سلبها المال.

جمدت أساريرها. لقد حان الوقت لتغيّر الموضوع. لِمَ تخبر هذا الرجل بكل شؤونها الخاصة؟ ألأنه رقيق وقدّم هدية لكارلي؟ وشعرت بأنها على وشك البكاء...

كان هو مرهقاً. وهي ترى ذلك على وجهه...

هي نفسها لم تكن أكثر نشاطاً وحيوية منه إذ أرهقت نفسها بالعمل اليوم. قالت: «حان وقت النوم، آسفة لأني أزعجتك برواية قصة حياتي».

- أنا من طلب منك ذلك.

- نعم. هذا ما يفعله الناس لكنني لست من الغباء بحيث أجيبهم.

- لا أظنك غبية.

ساد الصمت لحظة. كان صمتاً مثقلاً أخذت تحدّق أثناءه في يدها، وتملكها الشوق إلى ملامسة يده مرة أخرى، إلى الشعور بدفئها.. بقوتها.

لكن.. عليها أن تتعقل. وسألته: «هل ستخرج مجدداً عند الصباح؟».

- لدي مزيد من العمل عليّ أن أنجزه.

- ونحن أيضاً، علينا أن ننظف غرف النوم في الصباح.

- ما من حاجة إلى ذلك.

- اعتبر هذا أجر استضافتنا. لم يبق سوى يوم واحد نستمتع فيه بوجودنا هنا قبل أن يمر القطار ويأخذنا.

- مستمتعتان؟

- نستمتع. نحن مستمتعتان هنا و...

سرعان ما يحين الوقت لكي تواجه ما عليها أن تواجهه.

- أتعلمين أنك ستواجهين الصحف لحظة تصعدين إلى القطار؟

جمدت مكانها: «الصحف؟».

- إنهم يعلمون بوجودك هنا.

- الصحف تعلم أنني هنا؟

- كنت أتحدث إلى الشرطي المسؤول في المنطقة اليوم فعلمت أن الصحف مهتمة بأمركما. يمكنك أن تبيعي قصتكما..

ولم يكمل حديثه، فقد بدا الغضب على وجهها: «أنت أخبرتهم بمكاننا. وهكذا، سأواجه كل صحفي ومصوّر لحظة صعودنا إلى القطار. أنت حقير قذر وكذاب مخادع».

قال برفق: «هيه... تماسكي».

لكنها كانت ثائرة: «كم دفعوا لك؟ وإلى أي حد زخرفت القصة؟ وهل ستتوجه الآن مباشرة إلى الراديو لتضيف ما أخبرتك به لتوّي؟ ظننت أن بإمكاني أن أثق بك يارايلي جاكسن. إنني غبيّة غبيّة غبيّة».

- ألا تظنين أنك تبالغين قليلاً؟

توقفت لتلتقط أنفاسها. يبدو أن هذا الرجل يتسلّى. يتسلّى!

تبالغ؟ وأمسكت بأقرب شيء وقعت يدها عليه، وكانت إحدى تلك الكعكات التعيسة فقذفته بها، وأصابت صدره مباشرة، ثم تدحرجت إلى الأرض. فقالت: «إذا ضحكت فسأقتلك».

لوى شفتيه: «إنه القتل بواسطة كعكة الشوكولا».

- ليس ثمة ما يضحك.

- هذا صحيح. لكن، ليس ثمة ما يبكي أيضاً.

وقفت فيما التقط الكعكة من على الأرض، ثم أخذ يتأملها قبل أن يلقيها في سلة المهملات، وهو يقول ضاحكاً: «إنها قذيفة نووية صغيرة، جاهزة للاستعمال».

ابتلعت ريقها: «هل لك أن تتوقف عن تغيير الموضوع؟ أنا كنت..».

- نعم. كنت على وشك أن تطلقي عليّ أسماء مثل دودة البطن، ودودة الحقل والضفدع وما شابه..

وتحوّلت لهجته فجأة إلى الإعجاب: «كنت تتدربين على الشتائم. إنها جيدة جداً».

فقالت بلهجة لاذعة: «لحسن الحظ أن لديّ مجموعة كبيرة من الناس أتدرب عليها».

قال مفكراً: «نيكول، تشارلز، برايان، الصبي الذي باع قصتك للصحف. وربما هناك آخرون، لكنني لست مثلهم يا جينا».

- أنت أخبرت الصحافة..

قاطعها بصوت بدا فيه التحفظ فجأة: «أنا لم أخبر أحداً. أتذكرين السيدة التي كانت تروي لكارلي قصة عندما دخل برايان إلى عربة القطار ليخبرك بموت نيكول؟».

حدقت فيه: «وما علاقة هذا بذاك؟».

- هل لك أن تصغي؟ يبدو أن تلك السيدة كانت إندي رئيسة محكمة الصلح في غرب استراليا، وهي امرأة متقاعدة بالغة الفطنة والدهاء وقد أرادت أن تعرف ما حدث لك.

- ولكن..

- وهكذا، استعلمت عنك عندما تابع القطار طريقه. وعندما لم تعد

تراك، ازداد قلقها. ومع وصول القطار إلى محطة (كالفورلي)، عادت للبحث عنك. وعندما لم تجدك أرغمت المسؤولين في القطار على إبلاغ الشرطة. كان على برايان أن يواجه موقفاً صعباً للغاية، ثم ابتدأت الشرطة باقتفاء أثركم. اتصلوا ببعض الأشخاص الذي استلموا بضاعة من القطار. وتذكر أحد المقيمين هنا أنني أسكن في هذا المكان، فاتصل بي بالراديو. اتصلت بدوري بالشرطة لأخبرهم بوجودكما عندي. بعد بحث إندي عنكما عبثاً، خرجت الجموع للبحث عنكما وكذلك الطائرات.

أخرستها الصدمة ووقفت تحملق فيه: «وهكذا، ما كنا سنموت في البراري؟».

- كنتما ستمضيان يوماً سيئاً. لكن إندي كانت سترسل إليكما العون.

- لا.. لا أدري ما عليّ أن أقول.

عاد يقول ضاحكاً: «حاولي أن تشتميني. إنني حقاً أحب شتائمك».

- اخرس..

اتسعت ابتسامته: «يمكن أن تأتي بما هو أفضل من هذا».

حملقت فيه فعاد يضحك: «أنت تتهمينني بأنني أخبرت الصحافة، وقد أوضحت لك بأنني لست الفاعل. أنا من يفترض به أن يحملق بك غاضباً».

لماذا تحملق فيه؟ لأنه كان يبتسم، وليس لديها ما تقوله. كان عليها فقط أن تنظر إلى هذا الرجل لينهار ما بداخلها من دون سبب. وحاولت بيأس أن تتمالك نفسها.

وقالت بصعوبة: «آسفة».

- لا تفكري بهذا، فقد استمتعت بما وصفتني به. لم يصفني أحد قط من قبل بأنني دودة بطن أو دودة حقل أو ضفدع.

- لا أدري سبب عدم وصفهم لك بهذا كله.

فعاد يضحك وتبدد شعوره بالتعب.

الإرهاق الذي كان يبدو جزءاً من هذا الرجل اختفى قليلاً، بعد أن جعلته يضحك.

وسرّها ان تجعله يضحك. إن هذه منطقة خطرة وما من سبب يجعلها تبقى هنا، عليها أن تتابع سيرها، عليها أن تركز اهتمامها على كارلي.

- وهكذا، أخبرت الكل أنني هنا.

فتلاشت ابتسامته: «لا، لقد أبلغت الشرطة لكن الضابط الذي تحدثت إليه قال إن الصحافة مهتمة بالموضوع للغاية. قال ضابط الشرطة إن الصحافيين لا يعرفون مكانكم بالضبط، لكن الكل يعلم أنكما ترجلتما من القطار في مكان ما في هذه الأنحاء. لو كنت صحفياً لانتظرت عودتكما بالقطار مرة أخرى».

حدقت فيه بضيق بالغ، لكنها لم تر في وجهه ما يطمئنها. كانت عيناه تنطقان بالحقيقة.

كيف أمكنها أن تشتمه بكل تلك الألفاظ؟

رايلي جاكسن رجل يمكنها أن تثق به. ومهما كانت صفات رايلي الأخرى، فهذا لا يعني أنه ليس رجلاً صادقاً للغاية.

لكن صدق رايلي لم يجعل ما قاله مستساغاً.

وعضت شفتها: «هذا يعني أن كارلي..».

- سوف تواجه كارلي آلات التصوير والصحفيين فور نزولكما من القطار.

- سيكون هذا فظيعاً. هذا آخر ما تحتاجه. ما كان لي قط أن أترجّل من القطار.

- إذا كان برايان بهذا السوء، فلم يكن لديك خيار آخر.

- لن يكون عليّ أن أراه مرة أخرى على الأقل. إذا ما ورثت كارلي

عن أمها، فسيطلب برايان ضمها إليه. بالتالي سيعتبر نفسه الرابح فيأخذ المال ويتركنا وحدنا.

بقي رايلي صامتاً: «لكن ماذ سأفعل أنا؟».

- عودي إلى القطار وواجهي الأمور. إحمي كارلي قدر إمكانك، لكن اشرحي لها أنكما ستعيشان يوماً فظيعاً قبل أن تتابعي حياتك. اقتحمي مدينة بيرث واجعلي حياة برايان صعبة للغاية.

- لماذا؟

- لأنه يستحق ذلك. كل ما يعرفه برايان هو أنك ميتة الآن من العطش. لو أن إندي لم تتصل بالشرطة لما أرسلت الشرطة مجموعة للبحث عنكما.

- يجب ألّا يعلم..

- لا بد أنه يعلم، وإلا فهو أحمق...

ازدردت جينا ريقها: «لا. برايان ليس أحمق، وهذه التي جازف بها هي ابنته. يمكنها أن تفضحه أمام الصحافة ولكن..».

وهمست: «إنه والد كارلي. إي نوع من الميراث يترك لها هذا؟».

وحملقت فيه طويلاً تبحث عن جواب.

ولم تجد جواباً، فقالت بفتور: «أرجو المعذرة. أريد النوم».

- لتواجهي الحقائق غير السارة في الصباح؟

هزت كتفيها: «ربما ستبدو لي حينذاك أقل سوءً».

- جينا...

ووقف ينظر إليها في ضوء المصباح المهتز. ما الذي حدث لهذا الرجل؟ وشعرت جينا بالضآلة والوحدة والحرمان البالغ، وهي مشاعر لم تشعر بها منذ الطفولة. لقد تعلمت أن تكون أكثر صلابة، لكن أين هي الصلابة حين تشتد حاجتها إليها؟

وعندما امتدت يداه تمسكان بها بشكل بدا غير واعٍ تقريباً، شعرت بتلك الصلابة تتراخى. لقد جعلها تشعر... لم تعرف بما جعلها

تشعر. بأنها مختلفة! حية وضعيفة للغاية.

لا بد أن الرجل الذي أمامها أدرك شيئاً من مشاعرها. سيكون أحمق إذا لم ير مقدار اضطرابها لكنها تعلم جيداً أن رايلي جاكسن ليس أحمق.

- ستبدو الأمور أفضل في الصباح.

لكن شيئاً ما في صوته حدّثها بأنه ليس واثقاً من ذلك مثلها تماماً، فهو يدخل منطقة مجهولة أيضاً، منطقة الرعاية والاهتمام بالغير.

قال: «ستتجاوزين هذا كله».

فهمست: «أعرف هذا. لطالما تجاوزت الشدائد لكنني لا أعرف كيف أحمي كارلي».

اشتدت قبضته على يدها، ووقف يحدق فيها وقد بدا على شفتيه تعبير لم تستطع أن تحدده. رفعت بصرها تنظر في عينيه ثم حولته بعيداً. لم تثق.. بنفسها!

كان قريباً منها للغاية.... قوياً للغاية. وقفت حافية بثوبها المشجر وقد بدت، بشكل ما، واهية ضعيفة.

استمر الصمت بينهما... صمت مطبق. وتوقفت حركة الكون.

شيء ما في قلب جينا راح يتكوّن وينمو بسرعة، هو نما بسرعة هددت بأن تكتسحها.

ما عسى أن يكون هذا؟ حاجة؟ رغبة؟

كانت ترغب في أن تسند رأسها إلى صدره، أن تجعله مستقراً لها.. بيتها الذي لم تعرفه من قط.

وفجأة، أصبح بيتها هنا، في قلب هذا الرجل.

لكن هذا غير صحيح، غير صحيح طبعاً. لا علاقة لهذا الرجل بها، فهو غريب، مزارع أسترالي لا تعرف عنه شيئاً سوى أنه يعيش في أكثر مناطق الدنيا قحطاً وهو لا يريد علاقة بأي امرأة...

لكنه كان يمسك بها. وهي تشعر.. بماذا؟ ما هو هذا الشعور الذي

يتعاظم في صدرها؟ يتعاظم إلى حد ظنت معه أنها ستنفجر أو تصرخ أو تقوم بشيء أكثر غباء.

أرادت مثلاً أن تندفع إليه وتحتضنه بشدة ثم ترفع وجهها إلى وجهه و... كلا؟ واستطاعت بشكل ما أن تبتعد عنه. لكنه بقي يمسك بها، ووجهه ينطق بالانزعاج والضيق، والقلق أيضاً.

وأخيراً استطاعت أن تقول: «آسفة. لديك ما يكفيك من المشاكل من دون أن أضيف مشاكلي».

- ربما بإمكاني أن أساعدك.

- سبق وساعدتني. لكن من الآن وصاعداً سأكون وحدي يا سيد جاكسن.

- رايلي.

همست: «رايلي».

بدت الكلمة غريبة على شفتيها، بدت وكأنها ذلك العناق الذي كانت متلهفة إليه..

- ما الذي يقلقك أكثر؟

- أن تواجه كارلي الصحف إذا لحق بنا الصحفيون إلى القطار.

- يمكنني أن آخذكما بالطائرة من هنا.

- قلت من قبل إنك لا تستطيع أن تقلّنا.

- قلت إني لا أستطيع على الفور، وكان ذلك صحيحاً.

- لقد وفرت عليَّ عمل يومين. كما وأنهيت أنا إصلاح مشاكل المياه المستعجلة. إذا أمضيت نهار الغد في وضع الخشب حيث دسست أنت صحفاً، وأمضيت يوماً آخر في عدّ رؤوس الماشية، فيمكنني بعدئذ أن أنقلكما بالطائرة. وسأفعل هذا يوم الثلاثاء.

- لكن.. إلى أين ستذهب؟

- إلى «ماينبيرينغ»؟ مزرعتي الخاصة.

- مزرعة أخرى؟ مثل هذه؟

ابتسم: «لا يا جينا، ليست كهذه. ماينبيرينغ معزولة. لكن لدينا مياه، وهي في حال أفضل بكثير».

- وكيف يمكنني أن أتصل بالحضارة من «ماينبيرينغ»؟

- أنا سآخذك.

وضغط على يدها مطمئناً.

وخطر لها بيأس أنّ هذا غريب، كان رايلي يتحدث... وكأنه غير واعٍ لتأثيره فيها. وكأنه لا يشعر بما يتسرّب إلى يديها. كان ذلك أشبه بتيار كهربائي ينقل الدفء والقوة و...

وأخذت تحدث نفسها بخشونة: حاولي أن تفكري! لا تدعي تلك الهرمونات تفعل فعلها!.

- سأتزود بالوقود في «ماينبيرينغ» ثم أتابع الطريق إلى «أديليد». يمكنك أن تستقلي الطائرة من هناك إلى أي مكان تريدينه.

إلى أين تريد أن تذهب؟طرحت السؤال على نفسها بكآبة فظيعة. لن تجد وطناً قط! لكن عليها أن تجد وطناً لكارلي.

لكنها وجدت أول الطريق على الأقل. سينقذهما رايلي من القطار، سيأخذهما بالطائرة إلى «أديليد». ثم... رفعت بصرها إلى وجهه القلق، فشعرت بآمالها تتهاوى.

هذا جنون، ما الذي تفكر فيه؟

جذبت يدها من يده وهي تشهق. وتراجعت إلى الخلف وكأنها تدفعه عنها، لكن رايلي لم يتراجع. وقالت: «سأدفع لك أجراً».

- لن تفعلي شيئاً كهذا.

- لا أقبل مساعدة من دون أجر.

- تعلّمي إذن أن تفعلي هذا. إذا لم يكن من أجلك، فمن أجل كارلي.

وتنهدت... لم تشأ أن تكون مدينة لهذا الرجل. ليس بهذا الشكل لكن يبدو أن ما من خيار لديها. فهي لم تعد وحدها في الحياة وعليها

أن تفكر في كارلي.

وهمست: «شكراً».

فقال برقة: «لا حاجة للشكر. فقد عملتما طويلاً وبمشقة بالغة حتى أصبح هذا المكان بيتاً صالحاً للسكن. أنا من ينبغي أن يشكركما وأنا أدفع لكما».

هل يعرض عليهما إخراجهما بالطائرة من هذا المكان لأنه يشعر بالامتنان؟ هل هذا هو الشعور الذي تريد أن تثيره فيه؟

كلا.. على الإطلاق.

قال لها بحنان: «اذهبي إلى سريرك يا جينا. لقد عملت بجد طوال اليومين الماضيين».

وعاد ينظر من حوله وكأنه لا يصدق مايرى: «أنا متلهف لأن أراه في الصباح».

- هذا إذا بقي قائماً.

أيمكن أن يكون هذا الرجل عديم الإحساس إلى هذا الحد؟ إنها تقف هنا متلهفة لأن يلمسها... أن يعانقها ويجعلها تنسى كل الأمور التي تعلمتها عن البقاء بعيدة عن الرجال، بينما هو يتحدث عن تدبير المنزل.

حدقت فيه، واعية إلى أن هذا جنون منها، لكنها لم تستطع أن تمنع نفسها.

بادلها هوالتحديق ثم كسا الغموض ملامحه. وأخيراً مدّ يده يلامس خدّها بخفة وكأنه يلامس شيئاً ثميناً، بعيداً عن متناوله، ثم قال بفتور وحزم: «تأخر الوقت يا جينا، اذهبي إلى سريرك».

اضطربت نظراتها، ورفعت يدها وأمسكت بيده ثم نظرت في عينيه لفترة طويلة.

اذهبي إلى سريرك؟ عليها أن تذهب. لا بد من ذلك.

وألقت بيده وكأنها تحرقها ثم استدارت هاربة قبل أن تقدم على

شيء قد تندم عليه بقية حياتها.

بقي في المطبخ فترة طويلة من دون حراك بعد ذهاب جينا. كان مرهقاً إلى حد لا يصدّق لكن الكسل منعه من الحراك.

لكن هل كان ذلك كسلاً حقاً؟ لعلها فكرة لا تطاق تدفعه إلى الخروج إلى الشرفة متوجهاً إلى حيث تنام جينا؟

كانت حلوة، رائعة للغاية... فتاة شقت طريقها في الحياة، مدافعة عن نفسها وما تملك، حتى الموت.

فكر في ما واجهته وهي طفلة في شوارع لندن مكافحة لتعيش، وفي والديها الثريين.. وشعر بالغضب يتملكه. لا عجب في استعدادها للكفاح من أجل مستقبل كارلي، هذا إذا كان شعورها نحو كارلي مماثلاً لشعوره نحوها..

أي حياة سافلة يعيشها هؤلاء الناس؟ برايان، وتشارلز، ونيكول الميتة؟؟

إنهم يستحقون القتل بالرصاص. فكر في ذلك قبل ان يتذكر أن نيكول ماتت فعلاً. ولاحت على فمه شبه ابتسامة. لو لم يكن هنا ليساعد..

عليه أن يتذكر أن الأمر لا يخصه. عليه أن يصعد إلى طائرته، ويصطحب الفتاتين إلى «أديليد». لقد وجد حلاً لأسوأ هذه المشاكل فهو سيأخذهما إلى هناك ثم يعود.

لن يكلفه هذا سوى يوم إضافي. فليفعل هذا وليتخلص منهما بسرعة، ليتخلص من المشاكل.

إذا أخذهما الآن، فسيكون عليه أن يعود. ونظر في أنحاء المطبخ الصغير اللامع، مفكراً في الجهد الذي بذلته الفتاتان لإعادته متوهجاً كما كان. الغريب أن هذه كانت مشكلته، أن يأخذهما إلى «أديليد» ثم يعود إلى هنا؟ كانت الفكرة غير محتملة.

لماذا؟ ما الذي فعلته الفتاتان به؟ إنهما تجعلانه يشعر بعد أن أقسم

على ألّا يشعر مرة أخرى.

لم تتملكه مثل هذه المشاعر من قبل. لكنه يعلم نوع مشاعره، إنها الرغبة لكنها ليست مجرد رغبة جسدية، بل أكثر من ذلك بكثير. رغبة جارفة في أن يجعل جينا تبتسم، أن ترمقه بنظرة شك، أن يجعل كارلي تقهقه ضاحكة، أن يمحو الألم..

وعاد يحدث نفسه بوحشية: لقد ابتدأتا تسيطران عليّ. حذار، وإلا وقعت في الشرك الملعون نفسه مرة أخرى.

وتنفس بعمق ثم خرج من المطبخ سائراً إلى الشرفة.

كانت جينا في السرير تحيط الطفلة بذراعيها.

أتراها نائمة؟ لم يكن واثقاً. إنه يريدها، كان شوقه إليها عبارة عن ألم جسماني عنيف يهدد باكتساحه.

أخذ يشتم همساً بعنف ثم تراجع عائداً إلى غرفة الجلوس المنظفة حديثاً وألقى بنفسه على الأريكة القديمة.

لن يتمكن من النوم في الشرفة ومشاعره هذه تسيطر عليه. غداً سيحضر إلى المنزل ما يحتاجه من مؤونة ثم يخرج من هنا عائداً إلى براريه المملّة، حيث الأمر الوحيد الذي يركز عليه هو العمل الشاق، حيث يمكن للرجل أن ينسى كل ما يتعلق بالنساء.

سمعته يذهب وأدركت ما يفعله. إنه لا يرغب في النوم في الشرفة وأدركت كنه مشاعره.

واستدارت ثم أخذت تحدّق في النجوم المتألقة في السماء وحاولت أن تفكر في السبب الذي جعل الحياة تصبح فجأة أكثر كآبة.

ولما أصبحت فجأة باعثة على اليأس.

٧ - الجنيّة الصغيرة

- جينا، السيد جاكسن يطرق بالمطرقة.

تقلّبت جينا على كره منها. مضت ساعات قبل أن تتمكن من النوم الليلة البارحة، لتستيقظ قبيل الفجر. لكن كارلي راحت تقول: «إنه يعمل ويعمل. ويجب أن نساعده».

تأوهت جينا فقالت كارلي بقلق: «هل أنت مريضة؟».

- لا بل متعبة.

لم تظهر كارلي العطف وقالت: «علينا أن ننهض لنساعد السيد جاكسن».

- اذهبي انت وساعدي السيد جاكسن.

- سأفعل.

لم تكن الساعة قد بلغت السابعة بعد.. وبالتالي يحق لجينا أن تعود إلى النوم لكن الطرق استمر.

توقف الطرق عند اقتراب كارلي على ما يبدو ثم دار حديث تبعه قهقهات، ليعود الطرق بعد ذلك. إنما مزدوجاً.

الطرق قبل الساعة السابعة صباحاً هو حتماً مخالفة. لكن لم يبقَ لها سوى يومين تمضيهما مع رايلي جاكسن وعليها اللعنة إذا كانت ستضيعهما سدى بالنوم.

كانا في الخارج. جل ما عليها أن تفعله هو أن تتبع صوت الأسئلة الطفولية والأجوبة بذلك الصوت الهادئ الرجولي. كان بالغ اللطف مع

كارلي. وعندما اقتربت منهما أبطأت في سيرها وراحت تصغي إلى حديثهما

- هل ستذهب في طائرتك؟

- نعم

- إلى بيتك الآخر؟

- نعم.

- هل بيتك الآخر فظيع مثل هذا؟

أجفلت جينا لكن رايلي قهقه ضاحكاً: «إنه مختلف».

- هل فيه غبار مثل هذا البيت؟

- ماغي تهتم بإزالة الغبار، تماماً مثل جينا. إنهما امرأتان متشابهتان تماماً.

- هل ماغي لطيفة؟

- إنها لطيفة جداً.

- وجينا لطيفة أيضاً. أتظن جينا لطيفة؟

أتراها تخيلت لحظة تردد في صوته أم حدث ذلك فعلاً، سمعته يقول بحذر: «إنها لطيفة جداً»..

لم يلحظا اقترابها فوقفت لحظة تتأملهما. كان رايلي قد توقف عن الطرق وكان ينشر ألواحاً خشبية مستطيلة لتغطية المنزل من الخارج.

وكانت كارلي تجلس على التراب في قميص نومها تدق مسماراً في لوح خشبي.

رفع عينيه عن عمله ورآها فقال ضاحكاً: «لقد استيقظت الأميرة النائمة، ظننا أنا وكارلي أنك ستنامين لمئة سنة أخرى».

فقالت: «هل لي أن أذكّرك بأن الساعة لم تبلغ السابعة صباحاً بعد؟»

فقال: «هل هي السابعة تقريباً؟ يا لجهنم! لقد اقترب وقت الغداء».

- في أي ساعة استيقظت أنت؟

- الخامسة.

- لقد غسلت ملابسك إذن.

- ملاحظتك حسنة.

- ألا تغسلها لك ماغي؟

- بلى، لكن لم يعد لدي قمصان نظيفة، وأريد أن أبدو حسن المظهر لأجل الآنسة كارلي.

وناول كارلي لوحاً ثم ساعدها على تثبيته. ودقا المسامير معاً. كان يعامل الطفلة وكأنها تساعده فعلاً.

وعاودتها تلك الغصة التي لا تفارقها في وجود هذا الرجل. لماذا؟ لكنها تعرف لماذا.

عندما تم تثبيت اللوح، وقف رايلي وألقى نظرة شاملة على عمله ثم قال لكارلي: «هذا يكفي فقد حان وقت الغداء».

- لم نتناول فطوراً بعد.

فقال ضاحكاً: «ما رأيكما في وجبة هي بين الفطور والغداء؟ إنني أعلن هذا اليوم يوماً عائلياً حتى أنني استطعت أن أطهو. فكرت الليلة الماضية في هاتين الضيفتين القادمتين من العالم القديم وخطر لي أنهما تعتبرانني مضيفاً سيئاً دون شك لكني سأريهما أنني لست كذلك».

رمشت جينا بأهدابها، وقالت: «أتعني أنك استطعت أن تسخّن البازيلاء؟».

اتسعت ابتسامته: «لا. تخليت عن البازلاء هذا الصباح. ما حضرته هو حلوى «البانكيك». فلنذهب الآن».

وأمسك بيد كارلي ثم سارا متجهين إلى الباب الخلفي بينما بقيت جينا واقفة شاعرة بأنها أشبه بجرو صغير مذهول.

سألته من خلفه: «ماذا تعني بقولك «بانكيك»؟».

- أليس لديهم «بانكيك» في إنكلترا؟

- حسناً، نعم، لكن..

- ثقي بي أيتها السيدة.

وأشار إلى كارلي بالدخول قبله، ثم وقف جانباً ليسمح لجينا بالمرور. دخلت فاحتك جسمها بجسمه. ألديه فكرة عن تأثيره فيها؟ لحسن الحظ أن رايلي لم يلحظ انزعاجها، وإذا ما لاحظه فقد تجاهله.

قالت كارلي: «أنا أحب «البانكيك» فهل يمكنك ان تحضّرها حقاً؟».

- من الأفضل ان تصدقي ذلك.

وأخذتا تراقبانه بعجب وهو يسكب الزبدة في مقلاة ساخنة ويتابع التحضير بمهارة.

قالت جينا مهتمة بصوت شبه طبيعي كما كانت ترجو: «أنت قمت بهذا العمل مئات المرات».

فقال: «هذا صحيح».

وضع كعكة أخرى فوق الكومة ثم جلس.

فقالت جينا وهي تحملق فيه بتشكك: «كيف تحضر هذا من دون بيض؟».

فأجاب باختصار باسماً: «عليك أن تكوني طاهية بالغة الخبرة لكي تعرفي ذلك. والآن، كفي عن طرح الأسئلة وكلي».

حملقت جينا فيه مرة أخرى لكن رايلي تجاهلها، مركزاً على الطعام. وحذت كارلي حذوه. فلم يعد أمام جينا ما تفعله سوى التركيز على الأكل هي أيضاً.

لم يكن الكعك جيداً وحسب، بل لذيذاً للغاية.

أو لعله الجلوس إلى المائدة مع هذا الرجل الذي لا تعرف عنه شيئاً.

وذكرت نفسها بيأس بأنها لا تعرف عنه شيئاً.

لكن عندما أخذ يغيظ كارلي ممازحاً، وراحا يقهقهان وكأنهما في الخامسة من العمر، كل ما عرفته هو أن حبها له يزداد بين دقيقة وأخرى.

هذا ما يمكن وصفه باللذيذ، لذيذ ومنعش إلى حد لا يمكن وصفه بالكلمات!

سألته جينا: «من علمك صنع «البانكيك»؟».

وكانت كارلي قد توارت عائدة إلى عملها فحبها المفاجئ للنجارة أهم بكثير من أن تتركه من أجل أمر تافه مثل الطعام.

لم تسمع أيّ جواب فرفعت بصرها لترى وجه رايلي وقد كساه عبوس مفاجئ: «قلت إنني لا أريد مزيداً من الأسئلة».

- هل هي أمك؟

- هذا غير ممكن.

خرجت الكلمات من فمه بخشونة، فنظرت إليه بفضول وقالت: «يبدو أنّ طفولتك كانت مشابهة لطفولتي؟».

- ماذا تعنين؟

- أنت تعرف ما أعنيه.

وترددت ولكن.. لن تمثل لهذا الرجل سوى بعض الذكريات... ولعلها ذكريات مزعجة. وتابعت تقول وهي تنظر إلى وجهه: «الممرضات اللاتي أعمل معهن.. المرضى الذين أعتني بهم.. يمكنني أن أميّز من هم من خلفية سعيدة. كنت أشعر بغيرة بالغة من الأطفال الذين يحبهم أهلهم وأراهن على أن والديك ليسا من أسرة سعيدة».

- هذا ليس من شأنك.

هزت كتفيها ثم أخذت تجمع الأطباق: «المسألة فقط.. يبدو أنك أصبحت تعرف الكثير عنا بينما أنا أكاد لا أعرف عنك شيئاً».

- ربما هذه هي الطريقة التي تعجبني.

لا فائدة! لكن جينا ليست بالفتاة التي تنهزم خصوصاً وأنها تريد حقاً أن تعلم. كانت معروفة بين زميلاتها في المستشفى بالاندفاع لمساعدة حتى أكثر المرضى عناداً وجعلهم يفضون إليها بمشاكلهم. ثمة مشكلة

خلف هذا الرجل.. وهي واثقة من ذلك. مشكلة كبرى.

لعل الضحك ينفع. وقالت مازحة تغيظه: «ما لي أراك أصبحت غامضاً كتوماً مهموماً يا سيد جاكسن؟

قال وقد تهدج صوته فجأة: «إنني أفضل أن تقللي من الفضول إذا لم يكن لديك مانع».

فقالت: «أتظنني فضولية؟».

- نعم. أنت وماغي.

فقالت: «أنا أحب ماغي رغم أنني لا أعرف من تكون وأراهن على أنك لن تخبرني».

- لا ضرورة لأن أخبرك. لِمَ النساء فضوليات إلى هذا الحد اللعين؟

- تعلمنا هذا في المدارس. تعلمنا أن البنات يحبون كيّ الملابس والرجال يحبون إخراج القمامة من البيت، لكن الرجال عديمو النفع. لكنني أعترف بأن للرجال فائدة في مجالات معيّنة. مثلاً، إذا أنا غسلت الأطباق فأنت تجففها، لكني أفضّل أن تبقى بعيداً عني أثناء ذلك يا سيد جاكسن. فليبق كل منا في مكانه.

- هذا يناسبني.

كان صوته منخفضاً لكنها نظرت إليه بتشكك لتدرك أنه جاد في كلامه.

شيء ما في وجهه حدثها بأن التوتر تملكه لقربه منها، وأنه لا يريدها هنا. وابتلعت ريقها ثم سألته: «رايلي، هل كنت تفضل لو بقينا، أنا وكارلي، بعيدتين عنك هذا النهار؟».

إنها محقة في ظنها. أدركت ذلك من الطريقة التي لمعت فيها عيناه وهو ينظر في عينيها.

لكنه يعلم ان هذا غباء، وابتسم آسفاً: «من الذي سيخبر كارلي بأن ليس عليها أن تطرق بالمطرقة؟».

- أنا من لا تريد قربها، إذن؟

- لم أقل هذا.

- ليس عليك أن تقوله.

وتقابلت أعينهما. كانا يعلمان ما هي المشكلة الأساسية هنا، لكن انجذابهما إلى بعضهما ليس له أي مستقبل.

- لا بأس.

بدا وكأنه قرر إعادة التواصل بينهما، فنظرت إليه بشك. وفجأة بدا الضحك في عينيه السوداوين، إنّ هذا الرجل أشبه بالحرباء في سرعة تغيّر مزاجه.

- إذا أبقيتك هنا، فما رأيك في إنهاء العمل في غرف النوم. بينما أقوم أنا بالعمل الخارجي؟

- لم أفهم؟

- إذا سددت الشقوق من الخارج، فهل ستتولين التنظيف في الداخل؟

إذا استطاع أن يدعي أن ما من شيء بينهما فيمكنها هي ذلك أيضاً: «مزيد من التراب! إنني نظيفة تقريباً».

- ألم تضعي ثياب العمل في الحقائب؟

وتنهد عندما هزت رأسها ثم تابع يقول: «ما تحضره السائحات من ملابس إلى مكان كهذا، لا رجاء فيه».

فقالت بكبرياء: «لم أضع مكاناً كهذا في حسابي بصفتي سائحة. كنت أرجو النزول في فندق خمس نجوم يحتوي على بركة سباحة».

- يجب أن تقطعي ثلاثة أميال إلى شمال هذا المكان لتصلي إلى حيث يمكنك السباحة.

- هذا حسن. حيث الشمس الساطعة في السماء والكثير من المناشف والخدم الذين يحضرون شراباً غازياً.

- يمكنني تقديم المياه العادية.

انتبهت جينا فجأة. كان يبدو جاداً: «أتعني أن بإمكانك حقاً أن تسبح هناك؟».

السباحة. . حيث الماء يغمرها من دون الحاجة إلى ضخه كالمجانين. . . يبدو عرضاً لا يقاوم.

- هل أنت جاد؟ إذا عملنا طوال النهار، فهل من مكان ما يمكننا أن نسبح فيه الليلة؟

أجابها مجفلاً: «إذا لم يكن لديك مانع من مشاركة قطعان المواشي وحيوانات الكنغارو وأي نوع آخر من الحيوانات البرية. هذه المياه لا يمكن أن تعتبريها مياهاً مغرية للشرب».

- إذا أمكنني السباحة فيها، فهي مغرية حقاً. دعنا نعقد اتفاقاً: أنا وكارلي نعمل طوال النهار، مادمت ستأخذنا للسباحة هذه الليلة.

شعرت بأنه سيرفض، وأدركت سبب رفضه. إنه السبب نفسه الذي يمنعها من السؤال.

ولكن ثمة أمر آخر. . شيء ينمو بين لحظة وأخرى، يحثها على أن تغتنم كل فرصة لتكون مع هذا الرجل. إن هذا الرجل مهم بالنسبة إليها من دون أن تدري لماذا. . .

لكن جسدها يوجّه إليها كل أنواع الرسائل التي ستكون حمقاء إذا ما تجاهلتها.

أن تعود بهدوء إلى إنكلترا من دون أن تعرف فحوى تلك الرسائل، أو تعلم ما قد يحدث، هو أمر غير معقول. وهكذا وقفت وأخذت تراقب وجهه وتنتظر. وقال بضيق: «إنها ليست بركة السباحة المناسبة لك بالضبط. إننا نتحدث عن أوحال».

- أتعني أن بركة السباحة تقع وسط الأوحال؟

- نعم، ولكن. . .

- أتريدني أن أعمل أم لا؟ أنا حقاً أريد أن أسبح يا سيد جاكسن. وأريد أن أعمل لأظفر بذلك.

وتقابلت أعينهما. وبدا التحدي في عينيّ جينا، بينما ظهر في عينيه شعور لم تستطع أن تفهمه. وأخيراً، لان رايلي فقال ببطء: «لا بأس يا

آنسة سفنسن. إنك الفائزة».

وتردد وكأنه ندم على تصريحه هذا، فأضاف: «ولكن انتبهي! إنني أتوقع عملاً شاقاً مقابل الاستمتاع بأشعة الشمس، والوحول، والأمواج المتكسرة على الشاطئ».

- الأمواج المتكسرة؟

- أفاعي المياه تسبب تكسر الأمواج.

سمّرته بنظرة: «هل الأفاعي سامة؟».

فتح فمه ليقول نعم، لكن نظراتها كانت متحدية فرقّ قلبه: «لا. لكنها تعض».

وقالت بحدة: «سنسبح بسرعة. يمكن لكارلي ان تسبح كالسمكة وأنا أيضاً. إذا عضتنا فسنموت سعيدتين، وما كان لك أن تقول إن السباحة ممكنة بينما هي ليست كذلك».

حدّق فيها بحيرة. كانت زاويتا فمه ملتويتين وكأنه يحاول ألّا يضحك، لكن ذلك الحذر العميق بقي في عينيه. كان أشبه بقطٍ كبير يحاذر من كل ما حوله. لكنه، في الأعماق، صريح إلى حد الخطر، وأخيراً قال: «لا بأس، يا آنسة سفنسن. إذا كان هذا ما تريدينه، فستحصلين على حمّام جنوني، إذا شئت».

كانت جينا قد استمتعت بيومي عملها مع كارلي وقد ازداد استمتاعها بالعمل الآن. صوت تقطيع الخشب المنسجم مع همهمة كارلي الحلوة كان رائعاً وجعلها ذلك تشعر.. بالسلام.؟ كان هذا غريباً وغير مفهوم، لكنه شعور لم تعرفه جينا من قبل. دخل رايلي إلى الغرفة ليساعدها في إزاحة قطع الأثاث لتستطيع التنظيف بسهولة لكنه خرج بسرعة وكأنه يقول لها إنه سيؤدي عمله بينما تؤدي هي عملها، منفصلين.

يناسبها أن يعملا منفصلين شرط ألّا يكون الانفصال مبالغاً فيه. كان ولاؤها لهذا الرجل الرائع بالغاً، ووجود كارلي بجانب رايلي منح جينا شعوراً بأنها معهما.

وعند انتصاف النهار حملت دلواً مليئاً بالماء من الخارج لكنها تعثرت به عند العتبة وانسكب الماء على قدميها الحافيتين. نظرت إلى أصابع قدميها الموحلتين، واكتشفت شيئاً جديداً، اكتشفت أنها سعيدة بهذا العمل أكثر مما كانت عليه من قبل. كان هذا مرحاً خالصاً.

وأخذت تقهقه بصوت خافت.

رفعت عينيها وإذا بها ترى رايلي يراقبها بتسلية بالغة، وقال: «يا لك من غبيّة».

وسأل كارلي: «هل أختك غبيّة دوماً؟».

فكرت كارلي لحظة ثم أجابت: «إنها مضحكة».

- أصابع قدميها مضحكة حقاً.

فقالت جينا: «نعم. إنها قذرة. أنا أكثر قذارة منكما. وهذا يعني ان عملي أكثر مشقة من عملكم! وبالتالي أستحق مدة سباحة أطول».

فسألها رايلي: «هل ستعودين إلى التمريض عندما تغادرين هذا المكان؟».

كان هذا السؤال غير متوقع فبهتت ابتسامتها: «طبعاً، وماذا أستطيع أن أفعل غير ذلك؟».

- أراهن على أن مرضاك يرونك رائعة للغاية.

- نعم. إنهم يحبونني حتى الموت. إنني أتقدّم منهم حاملة الحقنة فيقعون صرعى بين يدي.

ضحك، وعادت السخرية إلى عينيه، وكأنه لا يعرف ما عليه أن يقول. هذا حسن! فهي تحب أن تراه يخرج عن اتزانه. وقابلت نظراته بشيء من التمرّد، ثم قالت: «على أيّ حال، ذاك عالم آخر... ووقت آخر. الأكثر أهمية الآن هو أنك تتهرّب من العمل يا رايلي جاكسن. لدينا موعد مع السباحة بعد الظهر، فلنستعد لذلك».

- نعم، يا سيدتي.

إنها شجاعة. راح رايلي يفكر في وضع جينا طوال النهار.

لم يكن هذا من شأنه، لكنه لم يستطع أن يحمل نفسه على تجاهل شخصيتها. . تمردها على ما تشكو منه النساء، وجلدها وصبرها على المشقات والعمل الصعب، كل هذا مكّن هذه الفتاة من أن تواجه الحياة وحدها.

نعم. لقد وقفت وحدها طوال حياتها. وشعر بغضبه يتصاعد لأجلها.

لم يكن يبدو عليها الغضب أو المرارة. ويبدو أن جينا لا تنوي معاقبة أولئك الذين جعلوا طفولتها تعيسة أو الذين وضعوها في هذه المآزق. لكن رايلي يريدهم أن يعاقبوا. وكلما طال تفكيره في ذلك، كلما ازداد غضبه. في أي جهنم يكمن أبوها؟ وهذا الحيوان برايان الذي ورث من المال ما يكفي لجعل حياة جينا أسهل؟

ودمدم ساخطاً. أراد ان يشتم، لكن كارلي تجلس قربه مستعدة لاستيعاب أي كلمة جديدة تثير اهتمامها.

طفلة كهذه هي مسؤولية كبرى، ومع ذلك تولتها جينا من دون تفكير في ما سيكون تأثيرها في مستقبلها.

لا شأن له بهذا، عليه أن يدع هذا المكان ويخرج. ثم يعيد الفتاة إلى إنكلترا قبل أن يتملكه الجنون.

تابعوا العمل من دون توقف إلا لوقت قصير عند موعد الغداء. نامت كارلي قليلاً مع صخرتها، لكن رايلي وجينا لم يرتاحا.

وأخيراً، عندما فقدت أشعة الشمس حدّتها، اعترف رايلي أنه مرهق وقال لكارلي: «حان وقت السباحة».

وسار إلى حيث تعمل جينا في البيت وناداها، فأطلت برأسها من النافذة رافعة حاجبيها متسائلة. فقال آمراً: «هذا يكفي. أنا مرهق».

فقالت تغيظه: «ضعيف الهمة».

حدق فيها لحظة طويلة. هل لديها فكرة عن مدى جمالها؟

جمال؟ كيف توصف بالجمال والتراب يغطيها؟

نعم، كانت رائعة الجمال. لا يمكن إنكار ذلك.

إن جين سفنسن جميلة حقاً.

يا لجهنم. . وقال لها بصوت أكثر خشونة من العادة: «إذا أردت أن تسبحي فعلينا أن نتوقف عن العمل الآن. وعلى أيّ حال، أنا عملت لفترة ساعتين قبل أن تستيقظي هذا الصباح».

- أنت أكثر غباء مما أعهدك، ادخل وانظر ماذا فعلت أنا.

دخل فأدهشه ما رأى. كان المكان نظيفاً تقريباً، وقال: «ثمة خط أحمر حول الجدران، فهل هذا طراز إنكليزي؟».

فقالت بكبرياء: «إذا شئت أن تبلغ النظافة مستوى أعلى، فعليك أن تحضر خادمة أطول».

تظاهر بأنه يتأمل حجمها الصغير، فاحمر وجهها تحت تحديقه هذا، ثم قال مفكراً: «ربما أنت على حق، يبدو فعلاً أن لديّ مشكلة».

وعاد يقول: «هيا، لقد عملنا بما يكفي اليوم. إذا كان لديك ثوب للسباحة فارتديه الآن وبسرعة، سأقابلك عند السيارة بعد دقيقتين».

ثم خرج وتركها قبل أن تفضحه عواطفه نحو الفتاة التي أمامه.

كان ابتعاده عنها أصعب ما قام به في حياته. فجل ما كان متلهفاً إليه هو أن يأخذ جينا بين ذراعيه ويضعها في قلبه.

كان سدّ المياه يبعد ثلاثة أميال شمال البيت. وكان الوقت متأخراً ما جعل الشمس تفقد حدّتها لكن أشعتها بقيت حارة بما يكفي لتجعل السباحة أجمل شيء في العالم. جلست جينا بجانب رايلي في سيارته مستغرقة في التفكير. وفجأة هتفت كارلي: «نحن ذاهبون لنسبح. . . لنسبح».

بددت حماستها ركود الجوّ والتوتر الذي ساد.

وعندما وصلوا أخذت جينا تحدّق في الخارج بحيرة.

لم يكن ما تراه بركة سباحة مرفهة أبداً. وهذه هي الماشية التي تحدث رايلي عنها. كانت البهائم تقف في هذا المكان التعس المظهر على حافة مياه موحلة. لم تر جينا في حياتها مثل هذه الحيوانات المثيرة للشفقة.

- رايلي. . . إنها. .

وسكتت مذعورة، وعادت تنظر إلى الحيوانات التي يمزق منظرها القلب. من المؤكد أن هذه الحيوانات لن تستطيع العيش هنا. وكانت كارلي قد جمدت بجانبها فأدركت أن الطفلة تشاركها شعورها. نظر رايلي إليها ففهم ما تشعر به، وقال: «إن مظهرها شنيع، لكنها لن تبقى هنا طويلا».

- ماذا تعني؟ أنت لا تعني أنها. . ستموت؟

- صدقي أو لا تصدقي يا جينا، هذه الماشية في طريقها للشفاء.

- لا أصدق هذا.

قال متجهم الوجه، متوتر الملامح: «لا أريدك أن تظني أنني تسببت في ذلك. اشتريت هذا المكان لتويّ. الرجل الذي كان يملكه يستحق الرمي بالرصاص فقد أفلس ولم يستطع أن يدفع أجر نقل مواشيه إلى السوق، فتركها لتهلك. وعندما سمعت أن المكان للبيع جئت بالطائرة فوجدت الأبقار الميتة في كل مكان».

- منذ متى كان هذا؟

- منذ ثلاثة أسابيع.

همست: «أليس لديها ما تأكله؟».

- هناك ما يكفي من العلف. هذه المواشي قوية الاحتمال وسرعان ما تنتعش هنا مادام لديها الماء.

وسألته: «كم تبلغ مساحة المزرعة؟».

- حوالى ثلاثة آلاف ميل مربع.

- ومزرعتك؟ ماذا تسميها؟ «ماينيرينغ»؟

- عشرة آلاف ميل مربع.

صمتت مذهولة. تركتها ضخامة أرض رايلي خرساء. ومع ذلك. . . إذا كانت كلها كهذه البقعة، فهل تستحق العناء؟ الرجل الذي كان يملك هذه الأرض هجرها ومن يلومه؟؟ كان رايلي يراقب ملامحها

ويبدو أنه تكهن بما تفكر فيه، فقال لها برقة: «سبق وأخبرتك أن مزرعتي أفضل».

هذا هو المفروض، كما فكرت جينا عابسة وعادت تنظر إلى المواشي. كانت كارلي تحدق في بقرة باهتمام، فيما البقرة تبادلها التحديق. وبدا الحزن في عينيها البنيتين الواسعتين.

همست جينا وهي تنظر إلى بقرة كارلي: «قلت إن هذه الماشية لن تبقى هنا طويلاً».

وحوّلت نظراتها بعيداً وهي تتابع: «ماذا عنيت بذلك؟».

- سنشحنها من هنا. يمكنها أن تنتعش هنا لكنها لن تنمو بشكل جيد. سوف أرسل رجالاً لنقل الماشية إلى «ماينيرينغ» ثمة ما يكفي من الغذاء والماء.

- لكن هذا المكان فظيع. كيف يمكن أن يكون مزرعة؟

- إنه يعاني من الجفاف، يا جينا. هذا المكان ليس مزرياً دوماً. عندما يهطل المطر، سأعيد المواشي إلى هنا. إذا تحديت الطبيعة فستخسرين دوماً.

كانت كارلي تحاول أن تتجنب التحديق في البقرة بينما جينا تفكر في كلامها. ابتسم لهما رايلي وهو ينزل من السيارة قائلاً: «هل تريدان البقاء في السيارة طوال المساء، أم أنكما مازلتما ترغبان في السباحة؟».

حدقت جينا في الأبقار فبادلتها هذه التحديق على الفور. قالت بتوتر جعل رايلي يضحك: «لا أدري إن كان بإمكاني السباحة أمام الجمهور».

- لا تهتمي بها فهذا سيسلّيها جداً، أراهن على أنها لم تر في حياتها أناساً مثلكما.

وأعلنت كارلي قائلة: «هذه البقرة تحبني».

قالت جينا: «لا أظنني أرغب في السباحة في شراب الأبقار».

www.elromancia.com

فقال بحدة مبالغ فيها: «لقد قدت السيارة مسافة ثلاثة أميال لكي تسبحي. والآن، هلّا ترّجلت من السيارة لكي تسبحي؟ إذا لم تشائي هذا، فامكثي في السيارة مع كارلي بينما أسبح أنا. هل تريدين أن تسبحي يا كارلي؟».

فسألته كارلي: «هل سيكون عليّ أن أسير في الوحول لكي أصل إلى الماء؟».

- نعم. إنها ستتخلل أصابع قدميك.

شهقت كارلي وقفزت من السيارة واتجهت نحو الأوحال، بينما كان رايلي يسأل جينا: «ماذا عنك، يا آنسة سفنسن؟».

- أنا.. أنا سأسبح.

افعلي إذن قبل ان يبدأ جمهورنا بالتصفيق بفروغ صبر، احتجاجاً على تأخرنا.

كانت جينا ترتدي ملابس السباحة تحت ملابسها الخارجية فخلعتها وابتعدت خطوتين عن السيارة وإذا بقدمها تغوص على الفور في روث بقرة فصرخت بصوت كالعواء. قال رايلي وهو يبتسم راضياً بما حدث لها: «هذا هو الدرس الأول. أنت الآن في بلاد البقر، فتوقعي قليلاً من الروث».

حدقت جينا في أصابع قدميها، ثم قالت بحذر: «أظنني أتمنى لو اعود إلى بيتي الآن».

- ماذا؟ تعودين إلى المنزل؟

- أعني أن أعود إلى إنكلترا.

- رباه! لكنك الآن بحاجة إلى السباحة أكثر من أي وقت آخر.

وخلع قميصه وألقى به على المقعد الخلفي من السيارة، ثم خلع حذاءه ثم سرواله فبذلت جينا جهدها لئلا تصرخ مرة أخرى.

توقف رايلي وسألها ساخراً: «هل من خطب ما؟».

ابتلعت ريقها: «أنت لست محتشماً تماماً».

- عندما حزمت أمتعتي للحضور إلى هنا، ظننت أن كل من سيراني هي الأبقار. لو كنت أعلم أنك قادمة، لحزمت قميصاً يصل إلى الركبتين.

واتسعت ابتسامته قبل أن يضيف: «إن حشمتي بقدر حشمتك تقريباً».

وعندما أخذت وجنتاها تحمران، ابتسم لكارلي قبل أن يضيف: «لم يصدمني مظهرك بل أعجبني من كل قلبي».

وتصاعد الاحمرار إلى وجهها، لكنه ابتعد عنها فأصبح بإمكانها أن تتمالك نفسها مرة أخرى.

وجازفت باستراق نظرة أخرى إليه.

وحدثت نفسها بيأس بأن تتوقف عن التفكير بهذا الشكل لأنها في منطقة خطيرة، وأن عليها أن تبتعد عن هذا الرجل. ما كان لها أن تأتي للسباحة، وما كان عليها حتى أن تأتي إلى استراليا.

وكان رايلي يمسك بيد كارلي بينما هذه تشهق مسرورة وهما يغوصان في الأوحال إلى كاحليهما. لكن المياه العميقة تكمن خلف الأوحال.

وهكذا، أخذت جينا نفساً عميقاً، وألقت بالاحتراس إلى الريح، ثم تقدمت نحو حافة المياه.

كان الماء بارداً منعشاً فغاصت فيه حتى خصرها. كان رائعاً تماماً.

من يحتاج إلى بركة سباحة؟ نسيت ما كانت تشعر به، ونسيت رايلي. وألقت بالحذر جانباً وغاصت في المياه العميقة. ستستمتع بالسباحة. ستنفيه من ذهنها بشكل ما.

ماذا لو لم تستطع؟.

٨ - عناق وفراق

كانت المياه باردة بشكل لا يصدق.

وكان العمق يصل إلى ثمانية أو تسعة أقدام عند السد، وسرعان ما غاصت جينا. وبقيت تحت الماء حتى لم تعد تستطيع التنفس فصعدت إلى سطح الماء لتعود فتغوص مرة أخرى. كانت كارلي بأمان مع رايلي، فاستطاعت أن تركز على تبريد نفسها وتمالك أعصابها.

- هل تغوص دوماً وتصعد بهذا الشكل؟ هذا مذهل للغاية.

كان قريباً جداً منها. وصعدت جينا إلى سطح الماء ونظرت من حولها بعنف وإذا بها تجد وجه رايلي خلف كتفها الأيسر. كان طافياً على ظهره، فيما كارلي تجلس على صدره العريض منفرجة الساقين.

لم تعرف ما عليها أن تفعل أو تقول فغاصت مرة أخرى حيث بقيت تحت الماء قدر إمكانها. وعندما صعدت إلى سطح الماء، كان هو بانتظارها. وكان قد وضع كارلي على لوح خشب طافٍ فأمسك بكتفي جينا يثبّتها فوق الماء وهو يقول شاكياً: «هذا غير مريح على الإطلاق».

فقالت لاهثة: «غير مريح لمن؟ دعني أذهب».

- إذا وعدتني بألّا تغوصي ثانياً فهذا يثير أعصابنا، إذ نظن أن التمساح أكلك.

- التمساح؟

وعلى الفور صعدت جينا إلى سطح الماء. فيما ابتسم رايلي: «نعم. التمساح والسرطانات الصغيرة».

كان وجهه يلتمع بقطرات الماء وشعره يلتصق بجبينه. بدا جذاباً للغاية وقريباً جداً بحيث لم تعد تشعر بالارتياح. وفجأة، لم يعد قريباً إلى الحد الذي يرضيها.

تملكها إغراء لا يقاوم بأن تمدّ يدها لتلمس ذلك الوجه الضاحك، بأن تدفع إلى الخلف ذلك الشعر الذي يسيل الماء منه، أن تلتصق في المياه.. برجلها هذا.

وأدركت فجأة شعورها نحوه وإحساس قلبها به. كان في داخلها شعور عميق يحدثها بأن رايلي هو رجلها، ملجأها، سواء أدرك ذلك أم لا.

قالت: «أنا لا أخاف التماسيح».

وابتعدت. لا بد أن شيئاً مما كانت تشعر به بان على وجهها، إذ تركها رايلي وقد بدا التفكير على وجهه، وهو يقول موافقاً: «لست بحاجة لأن تخافي من التماسيح، كما لا حاجة لأن تخافي مني. أنا لن أسبب لك أي أذى يا جينا، ليس في نيتي القيام بما يخل بالشرف».

وفكرت جينا بيأس أنها تتمنى لو يقوم بذلك.. لأن هذا ما تتمناه.

لم تعبّر عن أفكارها بصوت مرتفع، وبدلاً من ذلك ابتسمت لكارلي. ثم دفعت لوح الخشب الذي جلست الطفلة عليها.

وقالت كارلي: «ادفعيني إلى الأوحال. أريد أن اصنع فطائر وحل».

- بكل تأكيد، يا سيدتي.

لطالما كانت كارلي فتاة مستقلة، موهوبة بالفطرة، وهي ليست بحاجة إلى من يسليها. كانت جينا تقلق عليها أحياناً، لكنها تعلمت ألّا تضغط عليها. واستلقت على ظهرها في الماء فيما دفء شمس الغروب على وجهها. كان ذلك رائعاً.

ولكن كل ما كانت تفكر فيه هو رايلي.

ماذا لو بقيت متشبثة به؟ ماذا لو تركت نفسها تنجذب إليه بدلاً من الابتعاد عنه؟؟

لكن كيف كان يمكن أن ينجذب إليها؟ لم يطلب منها قط القدوم إلى هنا، كما أنها ليست حرة تماماً فلديها كارلي.

لا بد أنه يعتبرها إنكليزية مزعجة نزلت من القطار لتطلب منه المعونة، مزعجة ترافقها طفلة يشعر نحوها بالأسف.. كان رايلي طافياً على ظهره مثلها. لكنه بقي في الجانب الآخر من السد، ما جعله أبعد ما يكون عنها. لا بد أن هذا ما يرغب فيه.

ماذا عليها أن تفعل إذن؟ لا شيء.

غداً صباحاً سيرحل ليمضي يوماً طويلاً لا ينتهي، ثم يضعها في طائرته ويعيدها إلى العالم المتحضر. وينتهي كل شيء. ستغادر هذا المكان إلى الأبد. وتملكها الاكتئاب فهي وكارلي ستعودان إلى إنكلترا، إلى عملها في المستشفى.

كانت حياتها كئيبة من قبل فهي تكافح لسداد الديون التي تراكمت عليها بسبب دراستها، كم ستزداد مقدار كآبتها الآن؟

لكنها حصلت على كارلي على الأقل. وهذه فكرة جيدة، إذ جلبت الاستقرار إلى نفسها.

ونظرت إلى أختها الصغرى التي ركزت اهتمامها على صنع فطائر الوحل وكأنها تقوم بعملية جراحية في المخ. الحياة ستكون أفضل مع كارلي. وكانت لتصبح أفضل لو لم تعرف رايلي قط، لو لم تعرف أن رجلاً كهذا يعيش في هذا العالم.

تحوّلت عيناها عن كارلي، لتنظر إلى أي مكان ما عدا رايلي.

خطر لها أنّ هذا المكان هو نهاية العالم، وعليها أن ترحّب بفكرة مغادرته. لكنها، وبدلاً من ذلك، استدارت نحو رايلي، مدركة أن رحيلها سيكون أشبه بسلخ قلبها.

حدثت نفسها بأن عليها أن تعبّر له عن مشاعرها لكنها عادت فجمدت مكانها.

هل يمكنها ذلك؟

وفجأة لم تعد تحتمل أكثر. ماذا ستخسر؟

تخسر رايلي؟ لكنها ستخسره على أيّ حال... فهو ليس لها.

ما عدا أنه في قلبها. وإذا ما وجدت الشجاعة لتخبره...

وتنفست بعمق، ثم غاصت تحت الماء متوجهة نحوه مباشرة.

ولم يشعر رايلي بها إلّا حين وصلت إليه. وقفز مصدوماً. وامتدت يداها لتمسكا بجسده وكأنها تحاول أن تثبّت نفسها. لكنه قفز بعيداً فأرغمها بذلك على أن تتركه.

- كل هذه المياه وتصطدمين بي؟

- آسفة.

نظر إليها بعجب فبادلته النظر بعدم اهتمام، وعاد هو إلى السباحة على ظهره. فقالت له: «إنك كسول للغاية. فأنت تكاد لا تسبح».

- لقد سبحت بما فيه الكفاية.

وغاصت تحته وأمسكت بقدميه فذهل وهو يراها تجره إلى الأسفل. لكنه طاف على سطح المياه وهو يشهق مصدوماً، ليراها تضحك، وهي تقول: «أنت لا تحبس أنفاسك جيداً. الست سباحاً ماهراً؟».

قال رايلي بفتور: «ربما حان الوقت لنعود إلى البيت».

ثم تحوّل مبتعداً.

أتراه مصنوعاً من الحجر؟ ستقوم بمحاولة أخيرة.

وجذبت قدميه إلى أسفل بعنف مرة أخرى. لكنها هذه المرة، تشبثت به ما جعله يتلوّى ثم يمسكها بعنف ويصعد بها إلى سطح الماء.

كان يتفوّق عليها من حيث القوة ما جعلها عاجزة تماماً عن شده إلى أسفل. لكن، عندما صعدا إلى الماء، كان يمسك بها ولم تدفعه عنها خصوصاً بعد أن أصبح ملتصقاً بها تقريباً. وأدركت أنها كانت محقّة تماماً في المكافحة من أجل هذا الوضع. سرى فيها شعور هو أشبه بالكهرباء، لكن وبدلاً من الألم، شكّل التيار ألواناً، هي أشبه بألوان قوس القزح فراحت تدور كالدوامة داخل رأسها وهي تتشبث بالرجل

الذي تحب وكأنها لا تريده أن يذهب أبداً، وعادت تتضرّع إلى الله: أرجوك يا الله، دعه يشعر كما اشعر. هذا الرجل هو نصفي الآخر، فدعه يدرك ذلك.

رفعت بصرها إلى وجهه المبلل، وجسدها لا يزال يرتعش. فنظر إلى عينيها المتوسلتين.. ورأت مقاومته تنهار.

من يمكنه أن يقاوم هذا؟ من يمكنه أن يبتعد عن هذه الفتاة الجميلة.. هذه الجنية التي كانت منذ لحظة فتاة لعوباً تغيظه ضاحكة، وإذا بها الآن تتحوّل إلى فتاة خائفة.

لا، ليست فتاة، بل امرأة مليئة بالأنوثة. شعر بها ناعمة متجاوبة مع صلابة جسده.. وشعر أن ثمة حياة جديدة تسري في شرايينه. شعر بالأمل وبثقة مفاجئة في أن الحياة يمكن أن تمنحه، مرة أخرى، الدفء والحب والإلفة. ولكن هذا جنون... هذا لن يحدث... خصوصاً له. وأمسك بها فرفعت إليه بصرها وقرأ في عينيها أنها تتوقع منه أن يدفعها عنه.

شيء في أعماقه حدثه بأنها لم تتصرف على هذا النحو مع أيّ رجل آخر. لكنه لن يسمح للأوهام بأن تتملكه.. مهما كانت حلاوة الحب إلّا أنه ليس له، ولن يكون كذلك أبداً.

كانت تحدق فيه بنظرة موافقة، صامتة، فيما كارلي تعمل بهدوء عند السدّ المقابل وأخذ ينظر إلى وجهها الجميل فلم يلحظ أي دفاع أو مقاومة على الإطلاق.

جينا حبيبته؟حبيبته الآن؟

لكن لعل كلمة (الآن) هي المهمة. وبرقة بالغة ضمها إليه فاندست فيه. وشعر باستسلامها فتملكته متعة بالغة. كان جنوناً منه أن يشعر بهذا، ولكن على الرجل أن يملك قدرة فوق طاقة البشر كي يستطيع المقاومة، لئلا يرغب فيها، ليرفض ما كانت تقدمه له. كما أنّ روحه بقيت جائعة طوال السنوات الماضية، وها هي ذي جينا تقدم له الغذاء.

... مريحة روحه من وحشتها ونفسه من انكماشها.

كانت يداها على كتفيه، كان يسندها تماماً الآن، فإذا غرقا، يغرقان معاً، وسرعان ما اخترقت دماغه فكرة أن هذا ما ينبغي أن يقوما به، أن يموتا الآن. يموتا سعيدين.

كان هذا جنوناً، فالأبقار تعتمد عليه... وهي مسؤوليته. كما أنّ كارلي مسؤولية جينا. وليس لديه سوى هذه اللحظة يختطفها من الحقيقة.

ونظر إلى وجه جينا. كانت عيناها تلتمعان، فهل هي دموع؟ كان هناك ضحك، جرأة، صلابة حفظتها طوال تلك السنوات التي أعالت فيها نفسها بنفسها، ولكنها في الداخل بالغة الرقة وتعاني من الآلام والحاجة مثله هو. لكنه لا يعاني من الحاجة.

بل إنه كاذب. من ذا الذي لا يعاني من الحاجة عندما تكون هذه المرأة بالقرب منه؟

ألقى نظرة سريعة على كارلي، راجياً تقريباً أن تكون بحاجة إليها. ولكن كارلي اكتشفت وجود حيوانات الكنغارو، فحملت إحدى فطائرها المصنوعة من الوحل وخرجت من الماء لتأخذها إلى تلك الحيوانات على الضفة. كانت مشغولة وآمنة تماماً.

كانت جينا تراقبه، منتظرة. فسألها: «أتدركين أننا نلعب بالنار؟».

- نحن في الماء حيث يمكننا أن نطفيء أي نار.

- هل أنت واثقة؟

فأجابت تعترف: «لا. لست واثقة لكن كل ما أعرفه هو أنني أريد أن أبقى معك».

- أنت...

فقالت برقّة: «اخرس، يا رايلي. اخرس فقط وعانقني».

وهذا ما فعله في النهاية، وبحنان فائق وشكل لا يمكن وصفه، فعل رايلي ما عليه أن يفعله. أحنى رأسه وعانقها.. لم يعرف قط من قبل

مثل هذه الحلاوة.

الحاجز الذي أقاماه بينهما بدا وكأنه تبدّد في هواء الليل الحار، وكأنه لم يكن. بدا وكأنهما يتبادلان قسماً صامتاً بينهما: في هذه اللحظة نحن شخص واحد. الألم والفراق والحياة الكئيبة هي للغد، أما الآن فهو للبهجة فقط. وعلينا أن نغترف من هذه البهجة بأيدينا.

هل بإمكان هذه اللحظة أن تدوم إلى الأبد؟ هذه الروعة؟ ودار رأسه بشكل لا يصدّق.

تراجع إلى الخلف فوجد جينا تتأمله، وعيناها لا تزالان مغرورقتين بالدموع. هل هذه المرأة تبكي من أجله؟

- جينا.. لا أريد أن أسبب لك الألم.

- آه، يا رايلي كيف يمكنك أن تؤلمني؟ أنا أحبك.

وأخذت تتخلل شعره بيديها، ثم مالت إلى الأمام تعانقه مرة أخرى بخفة ورقة بالغتين.

ها قد قالتها.. كلمة الحب. وحدّق هو فيها فرأى أنها تتوقع منه جواباً وكأنه سيجيب. وهل هو قادر على ذلك؟

وتمتم يقول: «وأنا أيضاً يمكنني أن أحبك».

كان هذا احتمالاً فقط. ومع ذلك.. هذا يكفي الآن. وعادت يداها تتخللان شعره وقد أدركت أنه يعاني ألماً هائلاً، ألماً يجب أن تساعده لكي يتخلص منه ليتمكّن من أن يثق بأحد.

لكن ماذا لو لم يحدث ذلك؟ ماذا لو لم يتسنّ لها الوقت؟ ماذا لو اضطرتا هي وكارلي للعودة إلى إنكلترا خلال يومين ولم تعد ترى هذا الرجل؟

إنها تحبه وهي ستجاهد بكل ما تملكه. لقد جاهدت طوال حياتها للحصول على ما تحتاجه ولعل هذا أكبر جهد تبذله.

وأخذت تفكر حالمة في أنها تنتمي إلى هذا المكان، كما بين ذراعي هذا الرجل. أينما يكون رايلي هو موطنها. ويبدو أن كارلي لاحظت

فنادت: «تتعانقان يا جينا؟».

ابتعد رايلي عن جينا وهو يقول لكارلي: «جينا تستحق العناق، ألا تظنين ذلك؟».

فقالت كارلي: «نعم، لكنه عناق طويل جداً»..

قال: «ربما من الأفضل أن نذهب».

سألته جينا: «أتعني أن نكفّ عن العناق؟».

- أظن.. ربما لم نكن حكيمين.

- هل أنت خائف مما قد أجعلك تشعر به؟

طرحت عليه هذا السؤال فحبس العالم من حولها أنفاسه منتظراً الجواب.

وأخيراً قال: «أنا لا أثير العواطف».

- لِمَ لا؟

كان هذا مكاناً غير مناسب لحديث مثل هذا، فهما غارقين في المياه الموحلة حتى العنق، لقد عادت كارلي إلى صنع الفطائر، وليس حولهما سوى البقر والكنغارو.

ورأت جينا باكتئاب أن دفاعات رايلي عادت إلى مكانها. ما الذي يحدث؟ ماذا حصل في ماضي هذا الرجل لكي يجعله يتصرف بهذا الشكل؟

قال وقد بدا صوته ساخراً فجأة: «أنت تقولين إنك تحبينني».

- أظنني... أظنني أحبك فعلاً.

- عليك إذن أن تتعلمي بسرعة.

- أتعلم ماذا؟

لم تبتعد عيناها عن وجهه، وما رأته جعلها تنكمش. لقد جاهدت لكنها خسرت، إذ عادت دفاعاته وأصبحت عيناه كئيبتين قاسيتين.

وقال: «الحب هو اسم آخر لحاجة آنيّة. إنه يخفف من الشعور بالوحدة، وهذا كل ما في الأمر، إنه لا يربط شخصاً بآخر إلى الأبد».

كيف يقول هذا؟ عندما تحرّكت مشاعرها نحوه، شعرت بأنها سوف تتمزق إذا اضطرت إلى مفارقته. وهمست: «كيف تعلّمت هذا».

هز كتفيه وهو يتراجع خطوة في المياه مبتعداً عنها: «كنت أحمق، فتزوجت».

نظر إليها ولاحظ صدمتها فاسترخت ملامحه فجأة متفكهاً: «لا حاجة لأن تبدي بهذا الشكل. سبق وأخبرتك، وقد انتهى ذلك منذ وقت طويل. أنت لم تعانقي رجلاً متزوجاً، إذ تركتني ليزا منذ سنوات».

ابتلعت جينا ريقها وسألت: «ولكن.. لماذا؟».

لم يكن هذا من شأنها. كانت تعلم أن الجواب هام للغاية.

- الناس يفعلون ذلك. يهجرون فيتألم غيرهم. إذا ارتبطنا ببعضنا ومن ثم انفصلنا فهذا سيمزق كارلي.

رفعت بصرها إليه حائرة، وسألته: «كيف يمكن أن يحدث هذا؟».

- الكل يترك هذا المكان. لا يمكن لامرأة أن تحتمل الحياة هنا.

نظرت جينا من حولها.. بحذر: «إذا ما أحضرت زوجتك إلى هنا، ربما لا يمكنك أن تلومها لرغبتها في أن يكون معها من يسليها. إذا كنت قد أحضرتها إلى مكان كهذا..».

قاطعها بخشونة: «ما ينيرينغ» ليست مكاناً كهذه. وكانت هي تعلم..».

وسكت وكأنه غيّر رأيه ثم أضاف: «هذا أمر لا علاقة له بنا أو بك أنت. وقد مضت سنوات عليه».

- لكنها ليست طويلة بما يكفي لتثق بامرأة أخرى؟

- أقسمت قبل أن تأتي أنت على ألّا ألمس أيّ امرأة مرة أخرى.

- وها أنتذا قد لمستني. هذا رائع.

وتقدمت منه تأخذ وجهه بين كفيها تتأمله وهي تقول: «الآن وبعد أن حنثت بيمينك، ماذا ستفعل بي؟ هل ستسجنني في دهليز لأنني أغويت رجلاً؟».

- خسارة أن أسجنك تحت الأرض.

وأحاط خصرها بذراعيه، لكن بدلاً من أن يشدّها إليه كما أرادت، عاد فأبعدها عنه: «لا، يا جينا، أنت قادرة على جعل أي رجل يحنث بيمينه. لو أن كارلي ليست هنا، ولو لم تقولي إنك تحبينني، لتطوّرت الأمور بيننا ولأمضينا وقتاً رائعاً، وكنا سنتذكر هذه الفترة طوال حياتنا».

وبدا الشك فجأة في عينيه. أهي الكآبة التي ارتسمت على ملامحه؟ وكأنه يتحدث عن أمر لن يحدث قط؟

قال: «لكنك قلت إنك تحبينني. أنا لا أصدّق هذا لكنني لا أستطيع أن أؤلمك. مهما كان هذا لا يمكن أن أسمح له بالتطوّر أكثر فليست حياتك التي تعبثين بها هنا بل حياة كارلي».

تملكها الارتباك: «أتريد أن تقول إنني أجازف بكارلي؟ ماذا تعني؟».

- أنت مسؤولة عن كارلي.

وتحول الارتباك إلى غضب: «وهل وقوعي في غرامك يعني أن أجازف بها؟».

- أنت لا تحبينني حقاً. أنت تريدين فقط أن..

- أنت لا تعرف شيئاً عما أريده، ولا تعرف عني شيئاً على الإطلاق إذا ظننت أني سأجازف بكارلي بأي شكل. ليس لديك فكرة عن شعوري نحوك، لكني أخبرتك. أنا صادقة ولست مثلك يا رايلي جاكسن، أنت من لا يستطيع حتى أن يعترف لنفسه بما يشعر به.

- أنا لا..

قاطعته بحدة: «بل تعلم. يمكنني أن أشعر بما تشعر به أنت. لست فتاة مراهقة يمكنك أن تعنفها أو تغيظها. ليس لدي فكرة عن سبب ما بيننا لكنني أعلم أنني لم أعرف مثله من قبل، وهو شعور رائع لا مثيل له لكنك لست من الشجاعة بحيث تعترف لنفسك بما تشعر به نحوي».

- أنا لا أريد أن..

هبت في وجهه: «لا تريد المجازفة».

- وأنت تريدين؟

بدا الغضب على كليهما، وتابع يقول: «طبعاً أنت تريدين فأنت مخلوقة تحب المجازفة، فقد ترجّلت من القطار وسط البراري المجهولة مجازفة بحياة أختك الصغيرة».

ما الذي يقوله؟ لم تستطع أن تصدق. ورفعت يدها تريد أن تصفع الإتهام البادي على هذا الوجه لكنها تمالكت نفسها.

قالت عابسة قبل أن تستدير لتخرج: «إذا كانت هذه هي الصورة التي تريدها عني، فلا بأس. أنا وكارلي سنخرج من هنا بأسرع ما يمكن، ولن ترانا قط بعد ذلك».

- أتريدين أن تستقلي القطار غداً بدلاً من الذهاب معي بالطائرة؟

هذا السؤال جعلها تقف.

إنها تريد أن تستقل القطار، إنها متلهفة إلى الابتعاد. تحقيره لها أوشك أن يسحقها. يمكنها أن تحتمل بعض الصحافيين... ثم نظرت إلى كارلي.

بدت كارلي سعيدة مرة أخرى. لقد عانت هذه الطفلة الكثير فكم ستحتمل أكثر؟

وهمست: «كلا، أنا.. أرجوك».

لقد جازفت بالكثير، جازفت بسعادة كارلي عندما انجذبت إليه، ونسيت مدى اعتمادهما على هذا الرجل.

مضت لحظة مثقلة بالصمت وتقابلت نظراتهما، فرأت ملامحه تتحول إلى الأسف وكأنه هو أيضاً يتذكر ما واجهته.

وانتقلت نظراته إلى كارلي فظهرت فجأة نبرة ندم في صوته وهو يقول: «لن أضعكما في القطار. أنا آسف لأني قلت إنك تجازفين بكارلي، كان هذا سخيفاً وليس لي الحق في قوله.. لكنني.. أريد أن

أبعدك عني يا جينا فأنا أعيش وحدي».

أومأت جينا باكتئاب. لعل رايلي على حق فهو لا يريدها في عالمه ولا يحق لها أن تطلب منه ذلك.

ما تشعر به هو الحب، وهي تعلم هذا. فهي لم تعرف مثل هذا الشعور من قبل، لكن مشاعرها أخذت تهدد بسحقها. وأخذت تفكر بكآبة بأنّ مشاعرها مبنية ربما على حاجة آنيّة، لكن قلبها امتلأ ألماً مما كان يقوله.

لم تستطع أن تفعل المزيد. لقد ألقت بكرامتها في مهب الريح. لقد ألقت بنفسها عليه وعرّضت نفسها للألم وللرفض بشكل لم تفعله من قبل.

قالت بضعف: «شكراً على السباحة التي استمتعنا بها كثيراً. ربما حان الوقت للعودة إلى البيت».

- أنا آسف، يا جينا.

نظرت إليه ثم رفعت ذقنها وهمست: «جبان».

- لست جباناً، لكني لا أريد أن أسبب لك الألم.

- بل لا تريد أن تسبب الألم لنفسك.

- ربما. على أيّ حال، حان وقت العودة إلى البيت.

واستدار وخرج من الماء، متوجهاً إلى حيث كانت كارلي: «هل أنت جاهزة للعودة إلى البيت؟»

ابتسمت الفتاة الصغيرة وردّت: «لا بأس، هل انتهيت من معانقة جينا؟».

نظر إلى جينا وازداد جمود وجهه: «ما كان لنا أن نفعل ذلك قط».

٩ - محاولة يائسة

لم يرياه إلا بعد ظهر اليوم التالي. فبعد أن أعادهما إلى البيت اختطف عصاه وبعض المؤونة، ثم توارى وتركهما تهتمان بنفسيهما، كعادتهما على الدوام.

- هل تشاجرتما؟؟

طرحت كارلي هذا السؤال فهزت جينا رأسها. كانت تحضّر العشاء مقاومة دموعها، محاولة أن تتظاهر بالغضب بدلاً من الوحدة.

- ما الذي جعلك تظنين أننا تشاجرنا؟

- توقف رايلي عن الابتسام، وأنت توقفت عن الابتسام.

- ربما لأننا راحلتان غداً. وهذا أحزننا.

- أتظنين أننا سنرى رايلي مرة أخرى؟

- ربما لا.

- هذا محزن حقاً.

ونظرت كارلي إلى صدفتها الثمينة: «أفضّل أن أرى رايلي أكثر من صدفتي هذه».

حاولت جينا أن تتمالك نفسها وأن تبدو امرأة ناضجة متفهمة: «عليك ألّا تناديه رايلي بل السيد جاكسن».

- قال إن بإمكاني أن أناديه رايلي. إنه صديقي، وأظن أن علينا أن نبقى معه فترة أطول.

- وأنا كذلك. لكن ثمة أمور ما كان لها أن تحدث.

نامت كارلي على عكس جينا التي كان نومها لماماً تلك الليلة إذ استلقت في السرير، تحدق في النجوم، محاولة أن تفهم مشاعرها.. وأن تكتشف كيف ستواجه المستقبل.

استيقظتا في الصباح التالي على صمت مطبق. فرتبتا غرف النوم، ونظفتاها.

وبعد الظهر خرجتا فرأتا من بعيد القطار الفضي الذي ترجلتا منه قبل أربعة أيام، رأتاه وهو يصل وهو يغادر. ربما كان عليهما أن تصعدا على متن القطار، ربما ما كان عليها أن تثق برايلي.

لكنها وثقت به، فهو جدير بالثقة ويمكن الاعتماد عليه تماماً.

في الرابعة، توقفت هي وكارلي عن العمل، الحماسة والبهجة اللتان رافقتا عملهما في الأيام الثلاثة الماضية تلاشتا تماماً وكانت جينا متعبة حتى العظم. وفي الساعة الخامسة ظهرت السيارة من الجنوب ودخل رايلي إلى المنزل. بدا مظهره أسوأ مما تعهده جينا. لعلها تبدو متعبة، لكن هذا الرجل يبدو على وشك الانهيار. همست: «رايلي».

لكن مظهره منعها من أن تضيف كلمة أخرى. قال بصوت خال من المشاعر: «أنهيت العمل المطلوب. أيمكنكما الاستعداد للرحيل خلال ربع ساعة؟».

قالت كارلي وهي تنقل نظراتها بينه وبين اختها: «لقد سبق وحزمنا أمتعتنا».

فقال لها باسماً: «هذا حسن».

لكنه لم يبتسم لجينا.

ارتفعت الطائرة في السماء، واتجهت إلى الجنوب، ولاذ رايلي بالصمت وقد تجهم وجهه، فيما تأبطت كارلي صخرتها وكأنها تريد المحافظة عليها.

أسندت جينا وجهها على زجاج النافذة تحدق في الأسفل حيث راحت «مرتفعات بارينيا» تتراجع. وشعرت بالكآبة فقد وقعت في غرامها، كما وقعت في غرام رايلي.

كان عليها أن تتحدث إلى كارلي، أن تقنعها بأنهما تعيشان مغامرة. لكن وجه كارلي بدا متوتراً فهي تعلم ما خسرتاه.

كلما اتجهت الطائرة نحو الجنوب، كلما بدت البلاد أكثر اخضراراً. وبعد مضي ما يقارب النصف ساعة وصلا إلى مكان بدا أشبه بالفردوس بعد «مرتفعات بارينيا».

لم تستطع أن تصدق. وعندما أوشكت الطائرة على الهبوط، نظرت إلى رايلي بارتياب. لكن وجهه بقي جامداً عابساً. كانت كارلي تحدق في الأسفل فاغرة فاها، وشعرت جينا بأنها تريد أن تفعل الشيء نفسه.

بدا المنظر وكأنه نسخة عن الفردوس، فقالت كارلي وهي تشهق: «ما أجمل هذا».

ولم تستطع جينا إلا أن توافقها الرأي، ونظرت إلى رايلي ثم حوّلت نظرها بعيداً. كان وجهه قناعاً حازماً، لكنها تغلبت على تعاستها وقالت له: «ابسط ملامحك. كيف يمكن أن تبدو تعيساً وأنت قادم إلى هذا البيت الرائع؟ أعرف أنك ستفتقد غبارك ذاك، لكن هذه سخرية».

أجاب بابتسامة خفيفة: «أريد أن أركز على الهبوط».

عضت شفتها وقالت بمودة: «هذا صحيح. أنت تريد أن تركز اهتمامك على أي شيء ما عدانا».

حطت الطائرة ثم توقفت، حيث كانت ماغي في الانتظار. كانت امرأة قصيرة بدينة قليلاً في أواخر الخمسينات من عمرها أو أوائل الستينات. وعندما نزلوا من الطائرة ابتسمت لرايلي مرحبة لكن عينيها كانتا على جينا وكارلي.

ابتسمت للفتاتين وقالت: «يا للصغيرتين المسكينتين! كل تلك الضجة.. وعثور رايلي عليكما في ذلك الجو الحار. رايلي، كان عليك أن تحضرهما إلى هنا على الفور».

فأجاب باختصار: «لم أستطع. كانت المواشي تموت».

عندئذ، نظرت ماغي إليه بإمعان ورأت جينا الصدمة التي تملكتها

وهي تلاحظ الإرهاق والتوتر الذي يبدو عليه. شهقت المرأة وحاولت أن تتكلم لكن يبدو أنها غيرت رأيها فألقت عليه نظرة طويلة متفحصة، ثم عادت تنظر إلى الزائرتين. وقالت لجينا: «تفضلا بالدخول».

ثم نظرت إلى كارلي باسمة: «أهلاً وسهلاً بك».

فسألتها كارلي: «أتريدين أن تري صخرتي؟».

اتسعت ابتسامة المرأة: «طبعاً».

- هل ماكس غير مشغول ليأخذ هاتين مباشرة إلى «أديليد»؟

كان سؤال رايلي جافاً فجمدت جينا مكانها ونظرت إليه: «ظننت..».

وسألته كارلي: «ألن تأخذنا أنت؟».

أجابها: «أنا مشغول. ماكس هو مراقب عمالي، وزوج ماغي. إنه طيار مجاز».

وعندما رأى الشك على وجه كارلي، ابتسم لها وأضاف: «ستحبين ماكس، فهو يحب الأولاد وأنا أراهن على أنه سيحب صخرتك».

حدّقت فيه ماغي بدهشة وارتباك وقالت: «رايلي ما الذي تتحدث عنه؟ ماكس لن يأخذ أحداً إلى «أديليد» هذه الليلة».

- لِمَ لا؟ يمكنه أن يمضي الليلة هناك ويعود غداً.

- لن يستطيع.

- ماغي..

- ما من ضوء كافٍ، وأنت تعلم أنه يكره الطيران في العتمة.

- هيا، يا ماغي، إنها ليلة رائعة. القمر بدر وما من غيوم.

- أنه لن يفعل هذا.

- لِمَ بحق جهنم، لن يفعل هذا؟

تمالك نفسه ونظر إلى كارلي التي كانت تنظر إليه مباشرة: «أعني.. سيكون بأحسن حال. اعتاد أن يقود الطائرة في ظروف جوية أسوأ من هذه».

- لكنه الليلة غير مضطر لذلك. إنه زوجي وأنا أقول إنه لن يفعل هذا.

وشمخت ماغي بقامتها وحملقت فيه: «أنا لا أعارضك كثيراً يا رايلي جاكسن، لكنني أعارضك الآن. دع هاتين الصغيرتين تمضيان الليلة هنا. الإرهاق يبدو عليهما بقدر ما يبدو عليك. سأتحدث إلى ماكس ليأخذهما بالطائرة إلى الجنوب عند الصباح.

فقال مزمجراً: «أنا رئيس ماكس».

فألقت عليه ماغي نظرة طويلة مفكرة: «هذا صحيح. كما أنك رئيسي لكنك لن تكون رئيس أيّ منا إذا ما رحلنا، وهذا ما قد نفعله إذا أرغمته على القيام بذلك».

بدا لجينا أن الأمور تتفاقم، فقالت: «ماهذا؟ أنا لا أريد... الأمر غير هام».

وضعت ماغي يديها على وركيها وقالت: «بل هو هام. إن رايلي سخيف».

والتفتت تواجهه مرة أخرى: «ادخل واغتسل واستعد للعشاء. سيكون العشاء على المائدة بعد نصف ساعة».

- سآكل مع الرجال.

- ماذا تقول..؟

- أطعمي جينا وكارلي، يا ماغي.

واستدار مبتعداً وكأن الضجر تملكه فجأة: «أعطيهما فراشاً لينامام عليه الليلة، ثم يأخذهما ماكس في الصباح».

أخذتهما ماغي مباشرة إلى غرفة الضيوف حيث وجدتا سريرين فاخرين، وفوقهما مروحة تحمل النسيم الهادئ في انحاء الغرفة الفسيحة. بدت ماغي ذاهلة لكنها اعتنت بهما فترة قصيرة ثم توارت بسرعه، كي تستحما وتغيرا ملابسهما. وكان الحمام ممتعاً، لكنهما افتقدتا المضخة.

عادت كارلي إلى هدوئها ولم تقل شيئاً وهما ترتديان ملابسهما وتذهبان إلى العشاء وازداد هدوء الصغيرة عندما أدركت أنهما ستتناولان عشاءهما في عزلة موحشة رغم فخامة الغرفة وروعتها.

كانت ماغي تدخل وتخرج حاملة أطباق العشاء، ولم تكد تتكلم. بدا أن شخصيتها القوية توارت، وفكرت جينا في انه كان عليهما أن تستقلا القطار.

وبعد العشاء، بدا المنزل مهجوراً، فحملتا الأطباق إلى المطبخ الريفي الفسيح، وعادتا إلى غرفة نومهما، شاعرتين بالضياع.

وضعت جينا كارلي في السرير، فهمست هذه قائلة: «لم يعد رايلي يحبنا».

احتضنتها جينا قائلة إنه يحبهما طبعاً ولكنه متعب فقط.

ولم تصدّق هي نفسها ذلك. كانت تسري عن كارلي، لكنها كانت هي نفسها بحاجة إلى من يسري عنها.

وعندما رقدت كارلي في النهاية، خرجت لتجلس في الشرفة. غداً تعود إلى المدينة وينتهي هذا كله.

كان الليل رائعاً، و«ما ينيرينغ» رائعة، فهي أجمل مكان رأته، إنه مزيج سحري من أحلام البراري والراحة الممتعة.

ما الذي جعل زوجة رايلي تهجره؟

يبدو المكان وكأنه مسكون بالأشباح تقريباً.

بدا جرو من خلال الظلال، فنادته. قفز مسروراً ثم انسلّ متقدماً منها. كانت ترحب بهذا الرفيق. إنها ستجن. أين رايلي؟

وسألت الجرو: «هل هو يتحدث معك؟».

- لا.

جاء صوت المرأة من خلال الظلال، فالتفتت لترى ماغي تراقبها من خلف جذع شجرة. وقالت هذه بمرارة: «رايلي يتحدث إلى كلب؟ سيبعث هذا بينهما مودة وهو لا يريد لهذا أن يحصل».

www.elromancia.com

ابتدأت جينا تنهض لكن ماغي أشارت إليها لتبقى: «لا تذهبي. أنا بحاجة إلى الحديث معك».

- لا أريد أن أزعجك.

- أنت لا تزعجينني. أنت تزعجين رايلي وهذا ما أريد أن أتحدث عنه معك.

- حسناً. إذا كنت تريدين أن أعتذر عن هذا...

ابتسمت ماغي بقلق: «طبعاً أنا لا أريدك أن تعتذري، بل على العكس. في الواقع، لم يتزعج رايلي منذ وقت طويل».

- وماذا يعني هذا؟

- الوقوع في الغرام.

حدقت جينا في ماغي بذهول وبادلتها ماغي التحديق بالمثل.. حوّلت جينا نظرها أولاً، وأخذت تنظر إلى البحيرة.

همست جينا: «من قال شيئاً عن الوقوع في الحب؟».

سألتها المرأة: «هل تحبينه؟».

- ربما. وما فائدة إنكار ذلك؟

- حسنا. من المؤكد أنه يحبك هو أيضاً.

- لا أظن ذلك.

- هل رأيت وجهه؟

- أنا...

- طبعاً. أنت لا تعرفين عنه شيئاً لكي تدركي..

تنفست ماغي بعمق، وألقت بنفسها على «الأريكة» بجانب جينا: «آسفة يا جينا. منذ اللحظة التي ترجل بها من تلك الطائرة ورأيت وجهه.. لم أر تلك النظرة منذ مات أبوه، وجعلني ذلك أشعر بالمرض».

- لا أفهم.

- حسنا... ربما عليك أن تفهمي. فلا يمكنك أن تحاربي من دون

سلاح، وهذا ما أقوله أنا على الدوام. كنت أتحدث إلى زوجي فقال لي أن أدع ما ليس من شأني. ولكن متى فعلت أنا ذلك في حياتي؟ هل تعلمين أن والدة رايلي هجرته؟؟

أجابت جينا محاولة الحفاظ على هدوئها: «كلا، أنا..».

- كان والد رايلي مغرماً بها إلى حد ميئوس منه. لكنها كانت أميرة صغيرة مدللة، جاءت إلى هنا فمنحها العالم كله، لكن هذا لم يكفيها. كان لديهما ثلاثة أطفال. تعرفت إلى مليونير أثناء سباق ما، فهربت معه من دون أن تلقي نظرة إلى الخلف، وحطم ذلك قلب أبيه. وحسب عملي، لم يرها رايلي قط بعد ذلك.

- آه، لا.

- بل هذا صحيح، لكنها كانت البداية فقط. كانت الفتاتان مثلها أعني شقيقتي رايلي. صحيح أن الأم هجرتهما هما أيضاً، لكنهما كانتا أكبر منه سناً وقد علمتهما أن تتصرفا مثلها تماماً. لم تعجبهما المدرسة العادية هنا، فذهبتا إلى مدرسة داخلية. كانتا تكرهان هذا المكان وعندما أصبح رايلي في الثامنة، رحلتا تاركتين خلفهما غصة. جاهد والد رايلي كي يبقيهم معاً لكنه لم ينجح. وهكذا بقي رايلي مع أبيه الذي مات عندما كان رايلي في الحادية عشرة.

لم تتكلم جينا. لم تستطع. لكن ماغي نظرت إلى وجهها في ضوء القمر. ويبدو أن ما وجدته أرضاها، فهزت رأسها وتابعت كلامها: «كان الأمر بالنسبة إليه أشبه بجهنم. بقي وحيداً من دون أمه، وشقيقتيه. كنا، أنا وزوجي، هنا طبعاً وتأكدنا من وصول خبر موت الوالد إليهنّ، ولكن الأمر الوحيد الذي أثار اهتمامهن هو الإرث. لكن المزرعة بقيت وكان علينا، أنا وزوجي ماكس، أن نطلب رسمياً تعيننا وصيين عليه بما أن لا أقرباء له».

وضعت ماغي يدها على يد جينا وقد شعرت بأن جينا مصدومة إلى حدّ لم تستطع أن تتكلم وتابعت: «لن أطيل الكلام. بقي رايلي حبيس

www.elromancia.com

نفسه، وانغمس في العمل. تعلم العمل في البورصة فأصبح أحد أغنى المزارعين في استراليا وواحد من أصحاب الملايين القلائل في بلادنا. ومنذ ست سنوات تعرّف إلى ليزا وهي ابنة سمسار مبيعات، وفتاة رائعة الجمال. كانت مرحة تحب الهزل، فتزوجها. لكنني أظن أن أحد الأسباب التي جعلته يتزوجها هو تحكّمها في مشاعرها.. إنه لا يثق بالحب، ولِمَ يثق به؟ على أيّ حال، لم تكن ليزا صالحة له أبداً إذ هربت مع أحد أصدقائه القلائل الذين يثق بهم، ما أدمى قلبه. هذه هي القصة. منذ رحيل ليزا، رفض أن يقيم صلة حتى بكلب».

سادت لحظة صمت ثم شهقت شبه باكية: «لقد شغل نفسه بالأرض، وأخذ يهتم بالمزرعة دون سواها. لم يعد يلتزم بأحد، ثم أتيت أنت».

- أنا...

- بدا هذه الليلة كما بدا ليلة وفاة والده، لا يمكنك أن ترحلي.

- أتظنينني أريد أن أرحل؟

- لا..

وراجعت نفسها لتقول بعد حين: «بل أظن ذلك. ألقيت نظرة واحدة على وجهه وأدركت أنه أحب امرأة اخرى ليست بحاجة إليه. وهذا هو السبب.. السبب الذي جعلني أترككما وحدكما على مائدة العشاء. كنت قلقة مضطربة للغاية. لكنه كان أيضاً السبب الذي جعلني أرفض أن يأخذكما زوجي إلى «أديليد» هذه الليلة. أردت أن أعرف. كان عليّ أن أفهم».

- وهل فهمت الآن؟

- طبعاً فهمت. لقد كنت أتحدث إليه.

فقالت جينا: «أنت تمزحين. رايلي لا يدع الناس تتحدث معه».

ابتسمت ماغي ابتسامة مرتجفة: «هذا صحيح. ولكن إذا كنت ثائرة فهو يعطيك معلومات. قلت له إنني آسفة لأنني رفضت أن يأخذكما

ماكس إلى «أديليد» الليلة، أخبرته أنني كنت أصغي إلى الإشاعات في الراديو، ويبدو أنك فتاة مدلّلة فاسدة مثل أمك ثم وقفت اراقبه، بدت عليه ردة الفعل التي كنت أريدها. وأظنني لو كنت رجلاً لتلقيت منه صفعة قوية».

تنفست جينا بعمق، محاولة أن تركز: «حسناً.. ماذا تريدين أن تقولي؟».

- أريد أن أقول إنه يحبك وأنك تحبينه. أنا لا أدري ما السحر الذي حدث أثناء الأيام الأربعة الماضية. لكن.. هل كان الأمر كذلك؟ هل كان سحراً؟

فقالت جينا: «نعم، كان كذلك».

اتسعت ابتسامة ماغي: «اسمعي، إذا ما رأيت أن أربعة أيام في «مرتفعات بارينيا» هي سحر، فأنت إذن مناسبة جداً له. هذا المكان هو قصر بالمقارنة مع «مرتفعات بارينيا»».

- هذا المكان قصر بكل تأكيد.

- يمكن إذن أن تبقي هنا إلى الأبد.

- هذا صحيح وكأنه سيسمح هو بذلك.

فقالت ماغي: «اذهبي إليه، جاهدت كثيراً لكي يسمح لك بالبقاء ليلة أخرى. دعي الأمر ينجح. إنه في حظيرة الطائرات الآن يعطي تعليماته لصباح الغد. اذهبي وتحدثي إليه».

- لا أستطيع.

- ألا يستحق أن تحاربي من أجله؟

- ماغي، أنا من أخذ المبادرة الليلة الماضية. لا أستطيع الآن أن أذلّ نفسي أكثر.

- أنا لا اطلب منك إذلال نفسك. أنا أطلب منك، وبكل بساطة، أن تذهبي وتتحدثي إليه. لا أدري.. اشكريه على إقامتك عنده أو أي شيء آخر. سيرحل غداً قبل الفجر، ولن تسنح لك الفرصة كي تريه مرة

أخرى.. حاولي.. حاولي فقط. ماذا ستخسرين؟

وفكرت في أنها ستخسر كرامتها. لكن، هل بقي لديها أثر من كرامة؟ وهمست: «يمكنني أن أفعل هذا».

جذبت ماغي الجرو الذي جلس عند قدمي جينا قائلة: «أفسح الطريق للسيدة، فلديها رسالة».

وشدّت على يد جينا: «حظاً سعيداً يا عزيزتي. آه، حظاً سعيداً».

لن ينجح هذا الأمر!.

دخلت جينا إلى حظيرة الطائرات. وعندما التفت رايلي ليرى من الذي يقترب منه تجهم وجهه.

لم يكن لديها أمل.

قال باختصار: «ظننتك في فراشك الآن».

فأجفلت: «جئت لأشكرك على ضيافتك».

- مرحباً بك.

واستدار عائداً إلى طائرته فحدقت فيه محبطة وقد تصاعد غضبها ثم قالت: «أنا لست كذلك».

عاد يلتفت إليها: «المعذرة؟».

- أنا غير مرحب بي على الإطلاق. أنت متلهف لرحيلي.

- أنا لم أقل هذا.

- لست بحاجة لأن تنطق بهذا.

وعندما ازداد جمود وجهه، شعرت بالغضب يتملكها. تباً له!. إنه بحاجة لركله: «لقد أصبحت أنانياً ومملاً للغاية، لا أدري لما ظننت أن من الممكن أن أحبك».

سادت لحظة صمت. ثم أخذ يمسح يديه بخرقة، سائلاً: «مملاً للغاية؟»

فأجابت وعيناها تلتهبان: «نعم. كما أنك أقلقت كارلي. إنها لا تفهم لما أصبحت حقيراً بهذا الشكل».

- أنا لم أكن حقيراً، لقد أحضرتكما إلى هنا، وأنا أخطط لنقلكما إلى «أديليد».

فقالت: «هذا ما ظننته. حدثت نفسي بأنك تتصرف معنا بلطف وأن علي ألّا أشكو ثم عدت وأدركت أنك تعطينا ما يمكن لأي شخص لديه مال أن يمنحنا إياه، اعتادت نيكول أن تنزلنا في فنادق خمس نجوم، وأن تستخدم مشرفة ترعانا، لكن أحداً لم يحبها ولا ابنتيها حتى».

- ماذا تعنين؟

- أنت رفضت حبنا.

كيف صدر عنها مثل هذا التصريح الواضح؟ لكنه صحيح، فلِمَ لا تقوله؟

- أنا لا أريد أن يحبني أحد.

فازداد غضبها: «بل تريد ذلك، لكنك لا تريد الاعتراف بالأمر لأنك تألمت في الماضي. حسناً، أنت تنظر إلى خبيرة في الألم، ومع ذلك، ها أنذا ألقي بقلبي بغباء ولهفة لشخص أناني لا يريد حتى أن يخصص نهاراً واحداً يأخذنا فيه إلى أديليد».

- كفى، يا جينا.

- ولِمَ أسكت؟

لم يعد يهمها شيء. لم تشأ، في البداية، أن تتفوّه بأي من هذه الكلمات لكنه حدق فيها بعينين خاليتين من أي تعبير وكأنه يحاول أن يطردها، فلم تستطع احتمال ذلك. يمكنها أن ترى ما خلف ذلك الجمود فهو يظن أنه إذا سمح لنفسه بأن يحبها، فستجعله يتألم.. تماماً كما فعل به أولئك الناس.

همست: «جبان».

- أنا لست جباناً. أنا واقعي.

- أتظن أن ما كان بيننا يجب أن ينتهي؟

- طبعاً يجب أن ينتهي.

فقالت بحرارة: «طبعاً عليه ذلك حين يفرّقنا الموت. أرأيت؟ حتى

www.elromancia.com

أنني أعرف الوعد المقدس».

فقال مجفلاً: «أتقولين إنك تريدين أن تتزوجيني؟».

- أنا أعبّر لك عن شعوري نحوك. فلِمَ لا أكون صادقة؟ وسواء تزوّجنا أم لا، أنت جزء مني لكنك تفتقر الشجاعة لترى ذلك.

- جينا، هذا مستحيل.

- لماذا؟

- لأنه لن يدوم.

- هل لك أن تسكت؟ أنت تقول إن حبنا لا يمكن أن يدوم ولهذا تريد أن تنهيه الآن. هذا تعليل رائع... أنت أشبه بمن يرى مائدة مليئة بالأطعمة فيقول إنه سيجوع في المستقبل ولهذا لن يأكل الآن.

- أنا...

- ما الفرق؟ ما الفرق يا رايلي جاكسن؟

- لا أريد أن..

- أن تلتزم. لا. هذا ما أراه.

- جينا، اذهبي إلى سريرك. لن أغامر بسعادتك وسعادة كارلي.

- سعادتنا تتوقف عليك أيها المغفل..

- كفى يا جينا!

- أنت تطردني؟

- نعم

- تقول ماغي إنك تحبني.

- ماغي لا تعرف شيئاً.

- أحقاً لا تعرف؟

وتقدمت خطوتين إلى الأمام ثم واجهته: «إنها، إذن، مخطئة؟ انظر في عيني مباشرة وقل إنها مخطئة وإني اسأت الفهم، وإن هذا الحب من جانب واحد وإنك لا تحبني».

عض شفته وحدق فيها: «لا..».

- (لا) ماذا؟ لا تحبني؟ قلها يا رايلي.

- اذهبي إلى سريرك.

- قلها يا رايلي.

- هل لك أن تخرجي من مطاري؟

- لا يمكنك أن تقولها، أليس كذلك؟

- ما يمكن أن أقوله أولا أقوله لا يشكل أي فرق. أنا لا أريد أي علاقة أخرى. أرجوك.. ودّعي كارلي بالنيابة عني، وأخبريها أنني سأكتب إليها عندما تعودان إلى إنكلترا.

- ما أعظم هذا!

- هذا كل ما أنا مستعد للقيام به، يا جينا.

أغمضت عينيها، إلى أين عليها أن تذهب وماذا عليها أن تفعل؟ أين ذهب الدفء الذي كان ينبعث من عينيه؟ أين هو رايلي الذي وقعت في غرامه؟ أين قهقهته، ابتسامته، اهتمامه؟

لقد خسرت إذن لكنها حاولت على الأقل. ستعود إلى إنكلترا بعد أن جاهدت وحاولت. لن تستطيع أن تفعل أكثر من ذلك.

وعادت تقول: «هذا حسن. حطّم قلبك، حطم قلبي وقلب كارلي».

واستدارت خارجة من طريق المطار، رافعة رأسها. بدت متماسكة من الخلف، لكن هذا من الخلف فقط.

كان عليه أن ينهي تفحص المحرك لكنه لم يفعل بل وقف يحدّق في ظلمة الليل والصداع يدور ويدور في رأسه.

جبان..

نعم، إنه كذلك. ولكن.. لكنه لم يكن يحمي نفسه فقط.

في الحقيقة، لم يكن يعرف ما إذا كان قادراً إلى إعطاء ما يريدونه منه. زوج لجينا، أب لكارلي. هو الرجل المتحفظ المستقل يتحوّل إلى ربّ أسرة هكذا بطرفة عين.

دخل الجرو إلى الطريق المؤدي إلى المطار وتوجه إليه فوجد رايلي نفسه يربت على رأسه قبل أن يدرك ما يفعله. ما اسمه؟

لم يكن يطلق أسماءً على الكلاب.

عندما توارت جينا في الظلمة، قال رايلي للجرو بكآبة وهو يدفعه عنه: «دع عنك هذا، يا صديقي. أنا لا أستحق الحب».

لكن الجرو دس أنفه في يد رايلي الذي تجاهله ثم عاد وقال: «هذا يكفي».

بعدئذ، أخرج مفاتيحه وتوجّه نحو أقرب سيارة. يمكن لماكس أن ينهي تفحص الطائرة.

- سأذهب لأطمئن على المواشي في الناحية الجنوبية وسأتصل بالمنزل ليعرفوا مكاني، ولن أعود إلا بعد أن ترحلا.

هل كان يتحدث إلى كلب؟

نظر الكلب إليه وكاد يقسم على أن الكلب فهم ما يقول. وضّب ما يحتاج إليه من طعام أساسي ثم كتب ملاحظة لماغي. فكر في أن يكتب كلمة لجينا لكن.. يا لجهنم! ماذا على الرجل أن يقول؟

لا شيء.. لم يبق ما يقال.

صعد إلى شاحنته وأدار المحرك، وعندما ابتدأت الشاحنة تتحرك، قفز الجرو من النافذة المفتوحة ليستقر على ركبيته وهو يلهث مبتهجاً.

فكر رايلي في أن يقذف به إلى الخارج، لكن الجرو أخذ يلعق يده.

فقال: «لا بأس، أنت مجرد كلب بدون اسم، هل سمعت؟».

استقر الجرو على المقعد بجانبه وقد بدا راضياً للغاية. وخُيّل لرايلي أن الكلب ابتسم، لكنه لم يحاول أن يتودد إليه.

كلا، لم يفعل ذلك.

١٠ - أنا أحمق

- سنكون على مايرام.

احتضنت جينا أختها بقدر ما يسمح به حزام المقعد. كان منزل رايلي يتراجع بسرعة تحتهم. كانوا يقصدون «أديليد».

فقالت كارلي بعناد: «لن أكون على مايرام. أردت أن أبقى مع رايلي».

- أنت تعلمين أن هذا ليس ممكناً.

اللعنة! لِمَ تجد صعوبة في الكلام؟ كل ما شعرت به هو أنها تريد أن تتكوّر لتصبح كرة صغيرة.

لم تستطع. كان عليها أن تبدو متفائلة مستبشرة، كما أن عليها أن تخطط للمستقبل، بشكل ما.

قالت لكارلي: «علينا أن نستقل الطائرة إلى «بيرث» لنستعمل تذكرتينا للعودة إلى إنكلترا. سأتصل بوكيلة نيكول، ربما ستتدبر أمر بقائنا ليلة أو ليلتين في «بيرث»، قبل أن نرحل».

- ماذا سنفعل في «بيرث»؟

- بإمكاننا أن نأخذ «صخرتك» إلى المتحف. هذا ما اقترحه علينا رايلي، هل نسيت؟.

شهقت كارلي وهي تقول بصوت باك: «لا يمكننا أن نفعل هذا».

- لِمَ لا؟

- تركت صخرتي في بيت رايلي.

- آه، لا.

اللعنة! لم تفارق الصخرة يدي كارلي منذ أعطاها إياها رايلي. وكانت جينا تظن أنها معها فتملكها الانزعاج البالغ لأنها لم تلاحظ أن يدي الصغيرة فارغتان. حدقت في يدي كارلي بهلع وهي تفكر في استحالة الطلب من ماكس أن يعود. قالت: «كارلي، علينا أن نتصل بماغي ونطلب منها أن ترسلها لنا».

فقالت كارلي: «كلا».

طرفت جينا بعينيها: «كلا؟».

قالت مترددة: «تركتها هناك عمداً. أعطيتها لماغي لتعطيها لرايلي».

ثم نظرت في وجه جينا وأضافت باكية: «تركتها لرايلي».

لم يكن رايلي بحاجة لأن يخيّم في الخارج. إذ استلقى مستيقظاً طوال الليل محدقاً في النجوم.

وجاء إليه الجرو فاحتضنه وقد شعر بحاجة الى التعزية. قال يخاطب الجرو: «لا أستطيع أن أثق بنفسي، أو أن ألتزم. إذا سمحت لنفسي بالعودة إلى هناك فسأصبح أباً. وإذا ما انفصلنا، أنا وجينا، وهذا ما سيحصل، فماذا سيحدث لكارلي؟؟»

لم يجد أجوبة على أسئلته، وبقي في مكانه حتى بزغ الفجر. وعندما رأى أخيراً الطائرة ترتفع في الفضاء ثم تتجه جنوباً، توجه إلى البيت.

كانت ماغي بانتظاره، وما إن دخل حتى ناولته الصخرة.

كان الاتهام يرتسم على ملامحها الجامدة وهي تقول: «تركت لك هذه. يا للطفلة الصغيرة».

حدّق في الصخرة من دون أن يفهم فعادت تقول: «إنها «صخرة» كارلي».

- نعم

- تركتها خلفها. أعطتني إياها لأعيدها لك.

- إنها هديتي إليها.

شهقت ماغي وكل ذرة في كيانها تنطق بالاستنكار: «حسناً، لقد أعادتها».

- لا أريد استعادتها.

تحولت عنه تتلهى بتقشير البطاطا علّ مشاعرها تهدأ.

قال وهو يحدّق في قنديل البحر الصغير ثم يقلبه ويلامسه: «كانت تعشق هذه الصخرة».

فقالت ماغي بصوت باك وهي تعود إلى تقشير البطاطا: «أعادتها لك».

- لا أفهم.

- قالت...

وعادت تشهق بصوت مسموع: «قالت إن لديها جينا لتحبّها وإنك لا تحب حتى كلبك. ولهذا أنت بحاجة إلى «صخرتها» أكثر منها».

وجمد رايلي. وعادت ماغي تشهق.

قال: «أتظنينني تصرفت بغباء؟».

فقالت: «لا أظن هذا فقط».

- ماغي أنا لا أعرف أي شيء عن واجبات الزوج.

- لا تكن زوجاً إذن. أحبهما فقط، ثم دع البقية تأتي.

- لقد رحلتا الآن. وانتهى كل شيء.

- سينتهي إذا انت تركته ينتهي. اطلب منهما العودة. ماكس يستمع الآن إلى الراديو.

- بكل تأكيد. إذا عاد بهما ماكس فهل سنناقش الأمور؟ لقد عانتا الكثير، وثارت جينا غضباً الليلة الماضية. أتظنين أنّ بإمكاني أن أكلم ماكس وأطلب منه أن يعيدهما لأنني أريد مناقشة الأمور معها؟ لا أظن ذلك.

- ما الذي تقوله؟ عليك أن تناقش الأمور معها؟

ونظرت إليه غير مصدقة: «تناقش الأمور معها؟».

ووضعت السكين من يديها بحذر، وكأنها قد تفعل شيئاً تندم عليه في ما بعد ثم قالت بلطف: «كل ما أعرفه هو أنك تتصرف بغباء يا رايلي، عليك أن تفعل شيئاً».

ثم جمدت مكانها بعد أن تناهى إليها صوت طائرة. وقال رايلي: «هذا غير ممكن. سيكون هذا غباء، لا يمكن أن تكونا قد عادتا».

وضع «الصخرة» في جيبه وكأنه يبعد عنه حلماً. قالت هي بحدة: «أنت هو الغبي».

وعادت تصغي لحظة ثم تلاشى الارتياح عن ملامحها: «لا أنت محق. إنها ليست طائرتنا.. إنها طائرة شخص آخر».

وسارت إلى باب المطبخ وأخذت تنظر مستطلعة. رأت طائرة حمراء صغيرة، تقترب من مدرج المطار. تليها طائرة أخرى. وقالت: «إنها طائرة بيل ودوت هولمز».

عبس رايلي وتملكه الذهول تقريباً، ما سبب قدوم بيل ودوت إلى هنا؟ فبيل يكره مغادرة أملاكه. قالت ماغي وهي تدفعه من كتفه: «حسناً، لا تقف بهذا الشكل. الطائرتان تقتربان. فاخرج والعب دور الضابط المراقب».

ونظرت خلفها إلى البطاطا، ثم هزت كتفيها، وأردفت: «ربما عليّ أن أخرج أنا أيضاً لأرى ما يجري».

هبطت الطائرة الحمراء أولاً وترجّلت منها سيدة عجوز صغيرة الجسم بيضاء الشعر، ترتدي ملابس عمل فاخرة. ولحق بها رجل ضخم يرتدي ملابس طيار. فهل هو سائق خاص؟

نظرت السيدة باتجاه المنزل. وعندما رأت رايلي اتجهت نحوه لكنه أشار إليها لتتوقف. كانت في نهاية الطريق فاضطرت إلى التوقّف حتى حطت الطائرة الثانية.

لم تهبط الطائرة الثانية بسهولة، فهي أكبر وأقدم من الأولى. كانت في الواقع، أشبه بعلبة ضُمت إلى بعضها بأسلاك.

كان راكبا الطائرة المتقدمان في السن رجلاً وامرأة ترتدي ملابس قروية رثة. وعندما أصبحا على الأرض قالت معنفة: «لطالما أخبرتك أن علينا أن نتخلص من هذه الطائرة الرثة. لدينا مال أيها العجوز البخيل، وها نحن ذاهبان إلى «أديليد». لن نعود إلا بعد أن تشتري شيئاً محترماً نركبه».

ونظرت حيث كان رايلي يقف ثم لوحت له بيدها بعنف: «مرحباً، جاكسن».

وبالرغم من تشتت أفكاره، ابتسم لها.. كان بيل ودوت زوجين يعيشان على بعد مئة ميل شمال «مرتفعات بارينيا»، وبيل هو من اتصل به بشأن جينا وكارلي.

لكن ما سبب حضورهما إلى هنا؟ إنها امرأة ريفية بدينة، اجتماعية للغاية تحب الإشاعات، لكن بيل لا يتحدث كثيراً.

اتجهت المرأة الأنيقة وقائد طائرتها نحوه أيضاً، تقدم منهم ليستقبلهم جميعاً. وصلت دوت إليه أولاً فسألها باسماً عن سبب تشرّفه بزيارتهما. وأجابت دوت: «جئنا لنأخذ زائرتيك إلى «اديليد»».

ومدّ بيل يده إلى رايلي يصافحه: «مرحباً يا رفيق، فكرنا في أن نخلّصك من زائرتيك، ونأخذهما إلى «أديليد» لكي نريحك».

فأجاب رايلي: «لقد رحلتا».

لم تعجبه الخيبة التي بدت على وجه دوت، فهي تشبه كثيراً الخيبة التي يشعر بها. التفت إلى زائريه الآخرين وقال وهو يمد يده ليصافح السيدة: «آسف، فأنا لا أعرفك».

أجابت: «أنا «أندي أوكونيل»».

وشدّت على يده بقوة وقد تغضن وجهها بقلق: «أتراني جئت متأخرة؟».

- هل تبحثين عن جينا وكارلي أنت أيضاً؟

عندما رأت الحيرة على وجهه قالت: «لقد قابلتهما في القطار. أنا

من طلبت البحث عنهما، وأخبرني رجال الشرطة أنهما هنا. استطعت أن أحسم قليلاً من مشاكلهما، فقررت أن أحضر لأخبرهما».

لم يتبدد ارتباكه وسأل: «وكيف استطعت أن تقومي بذلك؟».

- كان الأمر سهلاً.

وتركت يده ونظرت إليه متأملة. كان هو أيضاً يتأملها. ما الذي أخبره بيل عن السيدة في ذلك القطار؟ «أندي أوكونيل»؟ رئيسة المحكمة؟ واستطاع رايلي أن يفهم كيف استطاعت هذه السيدة أن تصل إلى مركزها هذا. كانت عيناها حادتين، وملامحها تنطق بذكاء بالغ.

قالت: «شعرت بكراهية بالغة تجاه برايان».

- لم أتعرف إلى برايان أبداً، لكنني أشعر نحوه بالكره نفسه. ولكن، أخبريني مرة أخرى لما أنت هنا؟ لقد حللت بعض مشاكل جينا؟ أخبريني كيف.

فقالت: «ذلك الرجل تافه وفاسد. لكن اختياره وقع على أناس غير مناسبين ليكونوا شهوداً على حقيقته. بقينا في القطار يومين وكان على قائمة الركاب أناس متنوعون. وقبل أن نصل إلى «بيرث» وجدت ثلاثة محامين، وقاضٍ وطبيباً نفسياً. كنت أروي للبنت الصغيرة حكاية عندما ثار برايان وراح يصيح فيها، قائلاً إنه حرمها من حصتها من ميراث أمها، وأخبرها بموت امها. لقد تملك الفزع المسافرين كلهم. على كل حال، أصبح لدينا القصة بأكملها. في الواقع لدينا ما يكفي لنذهب إلى المحكمة مباشرة، فلدينا الآن تواقيع ما لا يقل عن ثمانية شهود اعترف برايان أمامهم أنه كذب ليخرج جينا وكارلي من إنكلترا. وهذه مستندات رائعة تثبت أنه لن ينجو بفعلته».

قالت ماغي: «كان يكذب».

أومأت أندي راضية: «ذلك الرجل أحمق. لقد أسكره النصر فأخبر العالم كله عن مدى مهارته. كان بيننا من عرف كيف يستدرجه. على أيّ حال، ما من سبيل لإسقاط وصية نيكول بالخداع والتلاعب، وسترث

الفتاتان المال كله».

فكر رايلي في أن الفتاتين ستصبحان غنيتين ومستقلتين تماماً، ومن الغريب أن هذا لم يمنحه أي بهجة.

لكنه يريدهما أن تكونا مستقلتين! وهذا طبيعي!

ونظر إلى «أندي» بدهشة: «وهكذا قررت أن تستقلي الطائرة من «بيرث» إلى هنا لتخبريهما بهذا؟».

نظرت إليه بجد: «أنا مضطرة لذلك إذ بقيت أفكر في ذينك الوجهين الشاحبين منذ رأيتهما. فكّرت في أن جينا قلقة وخائفة من دون شك. وعندما سمعت أنها لم تستقل القطار أمس، ظننت . . تباً . . وهكذا ركبت الطائرة لأخبرهما بما حدث».

لعل رايلي شعر بالتشوّش، لكن بقية المجموعة بدت مذهولة.

راحت دوت تتفحص رايلي وقد بدا أنها عاجزة عن تفسير التعبير الذي ارتسم على ملامحه. قالت: «أليس هذا رائعاً؟ ألا تظن أن هذا رائع يا رايلي؟».

فقالت ماغي: «رايلي لا يعلم ما عليه أن يظن. إنه يحب جينا».

وجمد العالم كله من حولهم.

ماهذا؟ لم يعرف ما عليه أن يقول.

واستمر الصمت وحاول رايلي أن يبدي الغضب، لكنه لم ينجح. حاول أن يبدو مترفعاً. . أو متسلياً.

لكنه لم ينجح أيضاً.

وأخيراً، سألت دوت: «هل يحب رايلي ابنة نيكول ريزور؟».

أومأت ماغي. وأخيراً قال بيل: «هيا يا رفيق ما الذي حدث لتفعل شيئاً كهذا؟».

فقالت زوجته وهي تلتفت إليه: «أتعني لما وقع في الحب؟ ولِمَ لا يقع في الحب؟ لا بد أنهما وقعا في الحب أثناء وجودهما في «مرتفعات مارينيا». كم هذا رومنسي».

فردّ زوجها بخشونة: «ليس في ذلك أيّ رومانسية».

لكنها قالت حالمة: «نعم، لكن إذا وقعا في الغرام هناك.. فيصبحان مثلي ومثلك. لقد وقعت في غرامك هناك. والزواج يشمل الأحوال الحسنة والسيئة. إذا جاءت الأحوال السيئة أولاً، عندئذ يدوم الزواج إلى الأبد».

وتدخّلت ماغي لتقول ببلادة: «لكنه يظنها ستهجره».

- ولماذا تهجره؟

طرحت أندي هذا السؤال فقرر رايلي ان الوقت حان لكي يتدخل: «عفواً، لكن هذا من شأني».

تجاهلوه جميعاً لكن ماغي أجابت من خلفه: «لأن كل امرأة جاءت إلى هذا المكان عادت فهجرته. ولذا، يظن أنه إذا وقع في غرام جينا وتزوجها فسيفشل الزواج ويتألم الأطفال».

فقال لها رايلي: «هل لك أن تدعي ما لا يعنيك؟».

فقالت له أندي: «جئت بالطائرة من «بيرث». ولهذا أعتبر هذا من شأني».

فقال رايلي بحدة: «أنا لم أقع في الغرام».

سألته ماغي وهي تسمّره بنظرة لم ير مثلها منذ كان في الثانية من عمره: «لم تقع؟».

وتابعت تقول: «هل لك أن تضع عينك في عيني يا رايلي جاكسن، وتخبرني أنك لا تحبها؟ وأنك لم تحب الفتاتين معاً؟».

لم يستطع. لم يستطع ذلك طبعاً. ولجأ إلى حيلة أخرى: «أنا لا أريد أن أؤذيهما».

- لماذا أبعدتهما إذن؟

- لن ينجح الأمر، وستتأذيان.

- لا يمكنهما أن تتأذيا أكثر. لقد أحبتاك. انظر فقط إلى صخرة كارلي. أي نوع من الحب هذا؟

كان عليه أن يسخر منها، لكنه، وبدلاً من ذلك، أخرج صخرة كارلي من جيبه وأخذ يحدّق فيها. يا إلهي! لا يمكن أن تتألما أكثر مما تتألمان الآن.

إن كارلي في الطائرة الآن من دون صخرتها، وجينا في طريقها إلى «أديليد» من دونه، وقال: «لا أستطيع».

ابتسمت ماغي: «بل تستطيع».

وحدّق في ماغي فبادلته التحديق.

ماذا قالت دوت قبل قليل؟ (الزواج هو للأوقات الجيدة والسيئة. إذا جاءت الأيام السيئة أولاً، فسيستمر الزواج إلى الأبد.)

لقد وقعت جينا في غرامه عندما كانوا في «مرتفعات بارينيا». قالت إنها تحبه عندما كانوا في بركة السباحة الملعونة تلك، حتى أنها لم تكن تعلم بوجود بيته هذا. قالت إنها تحبه، وهي تعلم أن ليس لديها نقود، كما كانت تظن أنه لا يملك الكثير من المال هو أيضاً، وأن «مرتفعات بارينيا» هي مكان إقامته.

وفكر بحذر في أنه ربما... نعم ربما كان أحمق. وتحرك شيء في قلبه. وانتظر حتى يعود قلبه إلى طبيعته لكن ذلك لم يحصل.

لقد رحلت أمه، ولحقت بها شقيقتاه. ومات أبوه. ثم رحلت زوجته. هذه المآسي أدمت قلبه لكن الجرح التأم بسبب جينا. وفجأة، تأكد من أن هذه المرة هي إلى الأبد.

قال بجمود: «ليس لديّ طائرة».

كتمت ماغي ابتسامتها: «أرى اثنتين هنا».

- سنأخذك إلى «أديليد» مباشرة. نحن ذاهبان إلى هناك على أي حال. وثمة أمكنة كثيرة في المؤخرة.

حدق رايلي فيها ثم في الطائرة، ثم تحوّل إلى أندي.

- لا أظنك تريد أن تستعير طائرتي.

ابتسمت للطيار الذي بدا عليه عدم الاهتمام وقالت: «إنها ذات

مقعدين فقط، لي ولهارولد. نحن نريد أن نتفرج، أليس كذلك يا هارولد؟»

- نعم يا سيدتي.

نظر رايلي مرة أخرى إلى جناحي طائرة دوت وبيل وقال: «لن نصل إليهما في هذه الطائرة أبداً».

فقالت ماغي: «سأتصل بماكس بالراديو وأطلب منه أن يقوم ببضع دورات قبل أن يهبط. أراهن على أن بإمكانه أن يفعل هذا قبل أن تلاحظ جينا».

- هل هي آمنة؟

طرح رايلي هذا السؤال فهو قد يغامر في سبيل قلبه، لكنه غير مستعد للموت في سبيل ذلك.

- طبعاً آمنة. استعملناها لنقل بعض السماد الطبيعي، ولهذا قد تشتم بعض الرائحة.

قال رايلي: «هذا عظيم».

فقال بيل: «ما هم رائحة السماد بالنسبة إلى رجل عاشق؟ أتريد أن تستعيد السيدة أم لا؟»

نظر رايلي إليهم جميعاً فبادلوه النظر، ثم عاد ينظر إلى الحجر الذي بيده. ونظر إلى الكلب، الذي أطلق عليه اسماً هو «باستل».

ربما عليه أن يمنح مسألة الحب هذه فرصة أخرى، لا بل ثلاث فرص: باستل وكارلي وجينا.

وقال: «سأجرّب حظي».

توهج وجه ماغي وكأنما بسحر ساحر: «آه، يارايلي إنها تحبك».

فقالت أندي: «إنها تحبك طبعاً أيها الشاب. لو أن هارولد ليس معي هنا لأحببتك أنا نفسي.. والآن، استعد، فأنت تضيع الوقت».

وقال بيل: «خذ نفساً عميقاً أيها الشاب فسيكون هذا آخر هواء نظيف تستنشقه حتى نصل إلى «أديليد»».

وشهق عالياً ثم توجه إلى طائرته هو يقول: «فلنرفع هذه الطفلة في الجو».

شخرت دوت ساخرة وهي تنطلق خلفه: «طفلة؟ بل قل عجوز».

قالت أندي: «نحن بحاجة للتزود بالوقود قبل الرحيل».

فقال بيل من فوق كتفه: «سيكون عليك أن تلحقي بنا. ونحن ذاهبان في مهمة إلى «أديليد» لإحضار سيدة جميلة».

وقال رايلي بفتور: «إنني أحمق».

ردّت ماغي قبعته إلى الخلف وطبعت قبلة على جبينه ثم قالت بحزم: «كلا. لست أحمق بل متفهم. اذهب يا رايلي، اذهب واحضر أسرتك إلى البيت».

١١ - القرار الصعب

- يبدو أن هذه الرحلة استغرقت وقتاً طويلاً.

ونظرت جينا إلى ساعتها. لقد مرّت ثلاث ساعات تقريباً منذ مغادرتهم «ميونيرينغ» التي يُفترض أنها ليست بعيدة جداً عن «أديليد».

رد ماكس عليها من فوق كتفه: «ثمة رياح معاكسة».

كان صامتاً معظم الرحلة، ما ناسب جينا.

كما استغرقت كارلي في النوم ما منح جينا الحرية للتحديق من النافذة والتفكير في كل ما خلفته وراءها... وكل ما ستواجهه.

ناداها ماكس: «نحن ندخل «أديليد» الآن. تأكدي من أنّ حزام الطفلة محكم».

- هل يمكننا أن نطير إلى «بيرث» من هنا؟

هز ماكس رأسه: «سآخذك الآن إلى بارافيلد، هو مدرج للطائرات الخاصة. عليك أن تستقلي حافلة للذهاب إلى «بيرث»».

- لا أظن أنّ بإمكانك أن تتصل بالراديو لتسأل عن إمكانية سفرنا بعد ظهر هذا اليوم؟

- لا أدري كيف أقوم بذلك.

عضت جينا شفتها. لا يمكنها مادياً أن تمضي ليلة في «أديليد».

وقال ماكس: «سنهبط الآن».

كانت الرحلة في طائرة بيل ودوت من أكثر الرحلات إرهاقاً بالنسبة إلى رايلي.

وكانت ماغي تجلس على المقعد بجانب السائق تحيك بصنارتها مبتسمة وتنظر إلى الخارج تتفرج على المناظر. قرار مرافقتهم الذي اتخذته في آخر لحظة، لم يكن مستغرباً. وفكر رايلي بمرارة، في أنّ أحداث هذا النهار كلها ليست مستغربة.

بدا مطار «بارافيلد» صغيراً وموحشاً للغاية. ساعدت جينا كارلي على النزول من الطائرة، وكان الهواء هادئاً تماماً، فسألت: «ماذا حدث للريح؟».

قال ماكس وقد بدا عليه الإرهاق نوعاً ما: «التيارات علوية».

نظرت إليه مشككة، ولكنها قالت: «شكراً لك».

رأته يلقي نظرة قلقة على السماء.. أتراه يتفحص الغيوم؟

- حسناً، اسمعي. إنزال أمتعتك سيستغرق بعض الوقت.

- ليس لدينا سوى حقيبتين.

- نعم، لكن علينا أن نمر بالجمارك.

- الجمارك؟

- نعم، الحجر الصحي بسبب الفواكه. انتظري مع الطفلة في القاعة بينما أسوّي أنا الأمور.

بدا المكان خالياً، فسألته: «ألا يمكننا أن نخرج بالحقيبتين مباشرة؟».

فقال بعناد وعيناه تنظران إلى أعلى: «القانون هو القانون. اذهبا واجلسا بينما أحضر أنا الحقائب حالما ينتهي التفتيش».

رأت طائرة أخرى تهبط. وعندما سارت جينا وكارلي إلى الداخل رغماً عنهما، عض هو شفته السفلى بهلع، لم تكن هذه هي الطائرة المنتظرة

* * *

سألت دوت بينما رايلي يكاد يهلك جزعاً: «أنى لنا أن نعلم أن وزير الزراعة اختار هذا اليوم من بين كل الأيام ليزور «أديليد»؟».

قال بيل وهو يمسك ببطنه: «سوف أموت».

وسأل رايلي: «هل لديكما مظلة؟».

لكن دوت ابتسمت فقط واتجهت بالطائرة نحو مساحة أخرى.

* * *

كانت كارلي من التعاسة بحيث لم تتذمّر، وسألت: «لِمَ تأخروا في إخراج حقائبنا من الطائرة؟».

كانتا جالستين في قاعة الانتظار عندما أخذ السياسيون يرحبون ببعضهم بعضاً واستغرق ذلك إلى الأبد. وعندما غادروا أخيراً مستقلين سيارات الليموزين الخاصة، عبّرت كارلي عن عدم صبرها.

فأجابتها جينا! «لا أدري ماذا يجري، لكني سأحضرهما الآن. هيا بنا يا كارلي».

وسارت إلى الباب وفتحته على مصراعيه لتجد رايلي أمامها.

ما زالت هنا! بقي رايلي في الجوّ مدة ساعة منتظراً السماح له بالهبوط، وتصوّر جينا تستقل الحافلة إلى المطار الرئيسي ثم تستقل الطائرة مباشرة إلى «بيرث» ثم.. ودفع بيده الباب وإذا بها أمامه.

هتفت باسمه: «رايلي».

إنها هنا.

* * *

بدت غبية من هتافها وشعرت بأنها غبية وكأن العالم ينهار. ومرت لحظة شعرت أثناءها أنه سيغمى عليها لكن يدين قويتين أمسكتا بها تثبتانها.

قال بمثل ذهولها: «أنت هنا؟».

- طبعاً نحن هنا.

استطاعت أن تنطق بذلك، ثم حاولت أن تفكر في ما عليها أن تقوله

بعد ذلك: «إنهم يظنون أن لدينا فاكهة».

فقال ببلادة: «فاكهة؟ أيّ صنف من الفاكهة؟».

- لا أدري.

كانت جينا من الذهول بحيث لم تفكر في ذلك كله، وقالت كارلي: «مرحباً رايلي. لِمَ أنت هنا؟».

قال رايلي من دون أن ينظر إلى كارلي: «جئت أبحث عنكما».

كان ينظر إلى جينا، يمسك بيدها، وهو يقول لكارلي: «كان عليّ أن أحضر لك صخرتك».

فقالت كارلي: «تركت لك الصخرة».

- لكنها كانت هديتي لك.

- لكنك بحاجة إليها.

- أنا لست بحاجة إليها. أنا أريدك أنت.

واشتدت ذراعاه حول جينا وساد صمت.

كانوا يسدون الباب ولم تستطع ماغي ودوت وبيل وهارولد وأندي أن يروا شيئاً.

- افعل شيئاً يا هارولد.

وضع هارولد كتفه على الباب ودفعه بقوة بحيث كادت جينا تقع أرضاً. لكنها ما كانت لتقع ورايلي يشدّها إليه بتلك القوة.

سألت دوت كارلي: «ألم يعانقها بعد؟».

ارتبكت كارلي وقالت: «لا».

- لِمَ هذا الانتظار إذن؟

وحاولت جينا أن تفهم ما يحدث: «من...؟».

أخبرها رايلي من دون أن تغادر عيناه عينيها: «هذان دوت وبيل، جيراننا في «مرتفعات بارينيا»».

www.elromancia.com

اشتدت يداه حول خصرها. كان ينظر إليها بشكل لوى قلبها، ولوى عالمها وهو يجيب: «أنت تعرفين ماغي طبعاً، تلك السيدة الطيبة تدخلت في الأمر. وهذه أندي التي فهمت أنك التقيتها في القطار».

وتدخلت أندي: «جينا، لقد حللنا مسألة الوصية، أنت وكارلي سترثان أموال أمكما كلها. ستكونان امرأتين ثريتين للغاية».

ستكون امرأة ثرية، ماغي هنا ورايلي لديه صخرة كارلي.

كان هذا مربكاً للغاية. لكن جلّ ما يهمها هو الطريقة التي يحدّق بها رايلي فيها والشعور بيديه على خصرها، و..

وهمست: «لِمَ أنت هنا؟».

اشتدت يداه حولها: «لأنني كنت أحمق».

فقال بيل: «هذا سبب جيد يجعلك تجلس في طائرة محملة بالسماد ثلاث ساعات. هل فعلت ذلك لأنك كنت أحمق؟ عليك أن تجد رداً أفضل».

فقال رايلي لجينا: «لأنني أحبك».

رفعت جينا بصرها إلى وجه رايلي، وما رأته على ملامحه كان مرضياً جداً جداً. وسألت: «أحقاً؟».

فأجاب: «حقاً».

- ولكن كيف تستطيع أن تحبني وأنت لا تحب حتى كلبك؟

- لو كان بإمكان «باستل» أن يأتي معي لرأيته هنا الآن.

كانت عيناه لا تفارقان عينيها وابتسامته تسرّع خفقات قلبها وهو يتابع: «أنا أحب كلبي الغبي كما أنني وقعت في حب صغيرة حلوة للغاية اسمها كارلي. لكني أحببتك أنت، يا جينا سفنسن، أحببتك بقوة لا أظنني سأشفى منها. كنت مخدَّراً، لكن هؤلاء المحبين جعلوني أفكر بتعقّل، وأرى حبيبتي الرائعة جينا».

تنفست بعمق ثم أخذت تبحث في ملامحه عما يشير إلى أنه يمزح، لكنها نسيت كلياً أن تتنفس. وهمست: «أحقاً؟»..

- لا، أبداً.

وابتسم ابتسامته الرائعة قبل أن يشدّها إليه مرة أخرى ويضيف: «ولكن أندي أخبرتني أنك ثرية للغاية وأنا أبحث عن الذهب منذ فترة طويلة».

تجاهلت كلامه هذا وركزت اهتمامها على ماهو ضروري: «أتحبني؟».

توقف عن الابتسام ثم أبعدها عنه قليلاً بشكل يمكّنها من النظر في عينيه لترى ما في قلبه بالضبط ثم قال برفق: «نعم. أحبك. أحب مظهرك، ابتسامتك، أحب روحك وشجاعتك وطريقة ربطك شعرك. وعندما يكون الغبار على أنفك، أحب ضحكتك والطريقة التي تحملين بها كارلي، ومواجهتك للحياة بكل تلك الشجاعة والمحبة. جينا.. لا أستطيع أن أصدق أنك تحبينني، لكنك أخبرتني في بحيرة السباحة أن بإمكانك أن تحبيني، وأريد أن أعلم إن كنت أنا قد دمرت ذلك. أريد أن أعلم إن كنت قد خسرت ذلك أم أنه مازال لدي فرصة. إذا..».

لم يستطع المتابعة بعد أن وقفت على رؤوس أصابع قدميها ووضعت أناملها على شفتيه وهمست: «آه، يا رايلي يا حبي، كيف تشك في ذلك؟».

وعانقها... عانقها كما تستحق أن تُعانق. كما تحتاج لأن تُعانق، كما تريد أن تُعانق إلى أبد الآبدين.

واستيقظت الحياة لتدوم حتى يفرقهما الموت. وعندما انفصلا عن بعضهما البعض أخيراً، بدأت بقية حياتهما.

قالت كارلي بحدة: «رائحة رايلي تثير الاشمئزاز».

www.elromancia.com

فقالت لها دوت: «إذا كانت جينا قد عانقت رايلي ورائحته نتنة، فحبهما جاد تماماً».

- أتعنين أنهما قد يتزوجان؟

فقالت أندي: «طبعاً سيتزوجان. أنا خبيرة في حفلات الأعراس. أعرف سبعين شخصاً تقريباً من قطار معيّن يتلهفون لدعوة».

وقالت ماغي حالمة: «آه، أنا قادرة على التخطيط لأجمل عرس في «ميونيرينغ»».

فردت عليها دوت: «ماذا عن إقامة العرس في «مرتفعات بارينيا»؟ هناك بدأت القصة. سيكون العرس شاعرياً للغاية».

- أيمكنني أن أكون حاملة الأزهار؟

طرحت كارلي هذا السؤال فحملتها ماغي بين ذراعيها وأخذت تقبلها، وهي تقول باسمة: «طبعاً يمكن ذلك، سنخيط لك أجمل ثوب باللونين الوردي والأبيض مع عقدة عريضة وردية اللون».

سألت أندي: «ولكن كيف ستعيش امرأة ثرية مثل جينا في «ميونيرينغ»؟».

ردّت ماغي: «إنها ممرضة. يمكنها أن تتولى إدارة العيادات الطبية».

- لكنه لم يعرض عليها الزواج بعد.

عندما قال هارولد هذا جمد الجميع ثم قال بيل: «ولن يفعل. ما تزال أمامك فرصة يا صديقي!».

سألت ماغي: «أنت ستفعل، أليس كذلك يارايلي؟».

وقالت أندي: «عليك أن تفعل ذلك. في الحقيقة، لن تحصل على عرض لعقد الزواج مجاناً كل يوم».

وسألت كارلي جينا: «هل ستتزوجين ياجينا؟».

حمل صوتها رنة ألم، ما أوقف الضحك. لقد أدركت كارلي أن هذا العالم جاد. وهي تدرك أن الأمور الجيدة لا تحدث بالضرورة، والحياة قاسية والنهايات السعيدة موجودة فقط في القصص والحكايات.

قال رايلي جاداً: «يبدو لي أن الأمور السيئة حدثت لنا في الماضي وانتهينا منها».

ترك جينا مرغماً ثم حمل كارلي وابتسم لها. وشعرت جينا بقلبها يلتوي مرة أخرى ثم قال للطفلة بحنان: «كنا، أنا وجينا وحيدين. وقد حدثت لنا أمور سيئة، لكن الأمور الجيدة تحصل أيضاً. لذا يبدو لي أن الأمور السيئة مرّت وانتهت. عشنا وحيدين مدة طويلة وآن لنا الآن أن نعيش سعداء».

قالت: «النهاية السعيدة».

فقال رايلي: «كلا. ما من نهايات سعيدة. النهايات السعيدة لا أحبها».

فهمست كارلي: «ماذا تحب إذن؟».

- ما رأيك بتعبير البدايات السعيدة.

- أظنها تعجبني.

لقد بدت لها الفكرة جيدة، وتابعت تقول: «بدايات سعيدة لك ولي ولجينا ولماغي وللكلب».

فقال: «إنها أسرة جاهزة، حالما توافق جينا على الزواج مني».

فالتفتت كارلي لتواجه جينا: «هل ستتزوجينه؟».

هل تتزوجه؟

وقالت أندي: «لو كنت مكانك لفعلت. هذا الزواج تدبير مناسب جداً».

فقال هارولد: «هذا يعني أنك ستتزوجينني».

وقالت ماغي: «أعطني كارلي».

أخذت كارلي من بين ذراعي رايلي وهي تقول له: «اسألها مرة أخرى».

وقال له بيل: «فكر جيداً».

فقالت له زوجته: «ماذا هناك ليفكر فيه، يا صاحب الرائحة الكريهة؟».

أخذ رايلي يبتسم ويبتسم ثم أدرك أن العالم كله يراقبه...

عندئذ، تحرك ليتصرف كما يتطلبه الموقف، فركع على ركبة واحدة، وسأل: «هل تتزوجينني، يا جينا سفنسن؟».

وما هو جواب أي فتاة على هذا؟

ركعت هي أيضاً على الركبتين وردّت: «نعم. سأتزوجك».

طبعاً، فما من جواب آخر.

انتهى

www.alriyadia.com